909.237
13120

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945

قالمة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ و الآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

ثورة محمد أحمد المهدي في السودان 1881-1885

من إعداد الطالبة:

أحلام شوابنة

الأستاذ المشرف:

الحواس غربي

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
		رئيسا	
		مشرفا و مقررا	
		عضوا مناقشا	

السنة الجامعية: 2012/ 2013 م-1433/ 1434هـ

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك.. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.. ولا تطيب

الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.. أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها في

اليوم والغد وإلى الأبد والدي العزيز "فاتح".

إلى ملاكي في الحياة.... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وسلالها بلسم جراحي. إلى أغلى

الحبايب أمي الحبيبة "حورية".

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي

إخوتي "نعيمة ورابح".

إلى براعم العائلة "عبد المؤمن، عبد المهيمن، شهد، عبد الموعين، ومحمد"

إلى صدقتي وأختي "بسمة"

وإلى رفيقة دربي وتوأم روحي

" نجوى".

وإلى كافة الأهل والأصدقاء وبالأخص بنات عمي "هادية وزوجها أحمد، وسليمة وزوجها سفيان، ومفيدة صاحبة القلب الصافي، وفاطمة" وابنة خالي "ريمة".

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المتربصين المقبلين على التخرج.

الشـــكر والعرفان

بأنامل تحيط بقلم أعياه التعب والأرق ولا يقوى على الحراك يتكأ على قطرات حبر مملوءة بالحزن والفرح في أن واحد حزن يشوه الفراق بعد التجمع.

في مثل هذه اللحظات يتوقف العقل ليفكر قبل أن يخط الحروف لتجمعها في كلمات تتبعثر الأحرف وعبثا أن يحاول تجمعها في سطور.

سطور كثير تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا

قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا فوجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة.

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الـــــشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة أساتذتنا الأفاضل.

" كن عالما..... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

واخص بالتقدير والشكر الدكتور

غربي الحواس

الذي أقول له بشراك قول رسول صلى الله عليه وسلم

" إن الحوت في البحر، والطير في السماء، ليصلون على معلم الناس خير"

كما أتقدم بالشكر إلى أفراد أسرتي سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضل.

وفي الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشكر والتقدير إلى شهداءنا الأبرار.

مقدمة:

إن السودان من أكثر الدول العربية توغلا في جسد إفريقيا، فهو يقع بين غرب إفريقيا ودول الشرق مع اتصاله بالبحر الأحمر واحتلاله شطرا كبيرا من وادي النيل، وكونه يربط بين أوروبا ومنطقة البحر المتوسط وأواسط إفريقيا جعله في ملتقى الطرق الإفريقية، وقد أعطته هذه الميزة بعدا إستراتيجيا عبر التاريخ، حيث يعتبره جميع المؤرخين بمثابة الجسر الذي تلتقي فيه الحضارتان الإسلامية والإفريقية، لا بسبب موقعه الجغرافي فقط، ولكن بحكم تكوينه السكاني أيضا، حيث يتشكل السودان من أعراق متعددة يندمج فيها الجنس العربي والإفريقي.

كان السودان على اتصال دائم بجاراته فنشأت علاقات تجارية وثقافية وسياسية بين مصر وبلاد السودانية مند الأزل، وكان قدماء المصريين يسمونه (تانحسو) أي " بلاد الأرواح أو أرض الله "، وكانت السودان تتبع ومصر بيد الانجليز الذين احتلوها اثر حركة أحمد عرابي 1882م، وكان الانجليز يتحكم في السودان باسم المصريين، فأفسدوا الوضع وأساؤوا إلى الحكم.

وأمام هذه الأحداث التي كانت تجري في البلاد كان لابد من قيام حركة إسلامية كرد فعل لما حدث، تطيح بالحكام وتصحح الأوضاع، وتقضي على كل فساد، وقد قامت بالفعل حركات كثيرة في هذه الفترة في كثير من أرجاء العالم الإسلامي كانت متشابهة في أحداثها وإن غير التاريخ أهدافها وشوه حقيقتها، ومن هذه الحركات كانت الحركة المهدية في السودان، التي قامت كرد فعل على الأوضاع التي كانت قائمة في السودان وعلى الحالة المتردية التي وصل إليها المسلمون من ضعف وتأخر وخنوع وجهل، وتحكم الغرباء بهم وكرد فعل أيضا على الأعمال الصليبية التي استفحل أمرها، فالحركة المهدية تمثل تطوراً جديداً في مسار التاريخ السوداني، وامتداداً لحركات التحرر التي شهدتها القارة ضد القوى الاستعمارية، وترجع هذه الحركة في تأسيسها إلى محمد أحمد بن عبد الله.

مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري (1298هـ) الذي يقتضي ظهور إمام يقوم بأمر تجديد الدين، تهيأ لفقير سالك مغمور اسمه محمد أحمد بن عبد الله، أن ينتفض داعيا وثائرا بحسبه المهدي المنتظر لإصلاح أمر الدين وإزالة فساد الدنيا بالسودان، وأكد أن هذا الزمان

هو نهاية الحياة الدنيا حيث أن الآخرة أقبلت وعلاماتها حصلت وأماراتها رويت بالعيان وتخيل أن زمنه امتدادا يندرج في زمن النبي وأنه حتى يتم الوصول والاتصال ينبغي إحياء الدين وإصلاح أمر الدارين وذلك بإعادة الأمور إلى نصابها، أي إعادة الحاضر إلى الماضي، فالدنيا دار فانية ويجب إسقاطها من القلوب وطردها وهي كلمة جامعة" كالحية لين مسها ويقتل سمها".

وحتى يكون عنوان البحث رمزًا لأهمية هذه الفترة، فقد جعلته تحت عنوان:

ثورة محمد أحمد المهدي في السودان من 1881م - 1885م

ولقد تظافرت عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع ومن أهمها:

- أن هذا الموضوع يعتبر من الموضوعات الجديدة التي تستحق الاهتمام.
- اختزال الدولة المهدية في شخصية عبد الله المهدي، وهو ما دفعني إلى دراسة هذه الشخصية، نظرا لدورها ومكانتها في قيام الثورة المهدية وتأسيس الدولة.
- احتواء هذه الفترة على أحداث مهمة متمثلة في (واقعة أبا، الهجرة إلى جبل قدير ووقائع الثور هناك، وقائع الثورة في سنار وفي كردفان وسقوط الأبيض حملة هكس...الخ).

وبناءا على هذا تم اختيارنا لهذا الموضوع، الذي اعتمدت في طرحه على منهج تاريخي وصفي، حيث مكننا من الوقوف على أهم الأحداث التاريخية خلال الفترة المذكورة(1881م - 1885م)، أملا في الإجابة عن الكثير من الأسئلة، التي تطرح نفسها ومن بينها:

كيف نشأ محمد أحمد المهدي ؟ كيف تطورت شخصيته ؟ كيف خرج من جو صوفي إلى جو المهدي ؟ ما طبيعة ثورته ؟ ماهي الأسباب التي أدت إلى قيامها وكيف كانت وقائعها وماهي أبرز نتائجها ؟

وأما عن الصعوبات التي واجهتني فتمثل في قلة المعلومات وتكرارها في أكثر من مصدر أو مرجع، وكذلك صعوبة التوفيق بين الشرح الممل والإيجاز المخل.

أما عن خطة البحث فهي تشمل على مدخل ومقدمة و ثلاثة فصول، وخاتمة وملاحق وعرض للمصادر والمراجع.

المدخل : حيث كان عنوانه الكبير لمحة عن السودان قبل ثورة محمد أحمد المهدي وقد طرحت فيه الأسباب التي جعلت المؤرخين والجغرافيين العرب يطلقون عليها اسم السودان ولكن دون تحديد واضح، ثم تناولت الموقع والمساحة وأصل السكان، ثم قمت بدراسة الأوضاع السياسية للسودان، والتي تعود بنا إلى حملة محمد علي باشا فذكرت الأسباب التي كانت المحرك الأساسي لهذه الحملة، وبعدها تطرقت إلى الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الدينية التي كانت ساندة في السودان، كما ذكرت الطرق الصوفية لكن باختصار.

الفصل الأول : يحمل عنوان محمد أحمد المهدي، وفي هذا الفصل درست حياة محمد أحمد المهدي وكيفية تكوين شخصيته (مولده، نشأته، وهجراته)، ثم تحدث عن شيوخه في التصوف، ثم تناولت حياة محمد أحمد الصوفية وكيفية دخوله الطريقة السمانية ليصبح فيما بعد أحد زعمائها، كما حاولت تسليط الضوء على دعوته والتي تنقسم إلى مرحلة سرية ليخرج بها إلى الدعوة الجهرية .

وقد عالجت في **الفصل الثاني**: الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية والعوامل المساعدة في نجاحها، والتي تعددت واختلفت من أسباب دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية في الدولة المهدية.

أما **الفصل الثالث**: والأخير فجاء بعنوان مراحل وتطورات ثورة محمد أحمد المهدي ووفاته، المرحلة الأولى مرحلة الدفاع والتمكين للحركة من (1881م - 1883م) وتناولت فيها أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة (معركة أبا، ووقائع الثورة في جبل قدير، وتطرقت إلى واقعة المختار وراشد وواقعة الشلالي، ثم تحدث عن وقائع الثورة في سنار المتمثلة في حركة عامر المكاشف، وواقعة محمد زين، وبعد ذلك عرجت لذكر وقائع الثورة في كردفان المتمثلة في واقعة البركة وبارة، وسقوط الطيارة، ثم حصار الأبيض وسقوطها، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الهجوم وبداية الحكم المحلي(نهاية الحكم المصري)، وكيفية انتقال حركة المهدي من مرحلة الدفاع عن النفس وانتظار العدو لصده إلى مرحلة الهجوم وتشتيت شمل الحكومة منذ سقوط الأبيض وقد تطرقت فيها إلى حملة هكس وفشلها في موقعة شيكان، وضم دارفور ، ثم تحدث عن مهمة غوردون وسياسة إخلاء السودان، ثم حصار الخرطوم، وبعد ذلك عرجت إلى حملة الإنكليز(حملة الإنقاذ) ثم

أما المصادر الأجنبية فمن أهمها:

James Darmesteter والمعنون بـ

Le Mahdi Depuis Les Origines Jusqu a nos jours

درس صاحب هذا الكتاب أهم محطات في حياة محمد أحمد المهدي.

وكذلك اعتمدت على المقالة الأجنبية للمؤرخ

J. de Lacharrière المعنونة بـ **Le mahdiseme en Afrique noir**

وأرجو أن يكون لي وإياكم التوفيق، فإن أصبت فبفضل من الله وإن أخطأت فلي أجر الاجتهاد وما توفيقي إلا بالله.

المدخل

لمحة عن السودان قبل ثورة محمد أحمد المهدي.

1 – التعريف بالسودان.

- السودان المصطلح.
- السودان جغرافيا.
- السكان.

2- الأوضاع العامة في السودان قبل ثورة محمد أحمد المهدي.

أ- الأوضاع السياسية والاقتصادية.

ب- الأوضاع الدينية.

. الطريقة الصوفية (الشاذلية، القادرية، السمانية، الختمية).

1- التعريف بالسودان:

أ_ السودان المصطلح:

لقد شاع لفظ السودان على أوسع مدى وبكثافة بعد ق 8م، ويعبر لفظ السودان في اللغة عن جمع الجميع لكلمة أسود، وقد شد انتباه العرب لون البشرة الغالب على سكان المساحات والأقاليم الواسعة من افريقية فيما وراء الصحراء الإفريقية الكبرى، ومن ثم انحدر منه ذلك اللفظ، وكان ذكر أرض السودان مرة، وبلاد السودان مرة أخرى، في مؤلفات وكتابات العرب من المؤرخين والجغرافيين وغيرهم، وأول محاولة للتعبير بلفظ واحد يصدق على كل الأرض ممتد من هوامش الانتقال من جنوب الصحراء الحرة الى مناطق المناخات ذات المطر الصيفي، ومرت الأجيال والقرون اعتبار من القرن 8م، وتوالت الهجرات العربية وكان ذلك من مدعاة لتثبت دلالة لفظ من خلال تداوله واستخدمه، وجار استخدام لفظ السودان لتعبير عن مدلول سياسي لاحق بكيان معين، يضم مساحات ويشمل أرض محددة في قلب حوض النيل الأوسط وروافده العظمى، إن استخدام لفظ السودان استخداما مطلق وبدلالة سياسية بالنسبة للأرض التي تقع في جنوب مصر وتتضمن القطاع الاعظم من حوض النيل الأوسط، لم يتأت إلا في فجر ق20 ومع البداية المبكرة لنظام الحكم الثنائي المشترك بين مصر وبريطانيا سنة 1899م، وهكذا أصبح اللفظ السودان العرب الأصل والنشأة[1]

أما الجغرافيون المحدثون فيطلقون اسم السودان على حزام المسافات الجاف، والمناطق الشبه الصحراوية الممتدة عرض القارة من الشرق إلى الغرب[2]

---

(1) صلاح الدين على الشامي، **السودان دراسة جغرافية**، المعارف، الإسكندرية، 1972م، ص 13 12.

(2) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، ط01، القاهرة، مصر، 1999م، ص 19 20.

ب- السودان الجغرافيا:

تزيد مساحة السودان 2506000كم^2 أي أكثر من 23% من مساحة الوطن العربي وإفريقيا وأسيا وحوالي مرتين ونصف مساحة الجمهورية العربية المتحدة[1]، وتشغل هذه الأرض الركن الشمالي الشرقي من قارة إفريقية، فهو يحتل موقعا استراتيجيا في قلب القارة الإفريقية هيأ ليكون جسرا ثقافيا، وحضاريا وتجاريا بين شمال القارة ووسطها وجنوبها وكذلك حلقة وصل بين إفريقيا والعالمين الغربي والإسلامي، يمتد بين خطي عرض 3°و23°وبين خطي طول21°و39°شرق خط غرينتش، تشاركه الحدود تسعة دول إفريقية هي مصر تشاد إفريقيا الوسطى، الكونغو الديمقراطية، كينيا، يوغندا، إثيوبيا وارتريا ليبيا[2].

أما من حيث الحدود السياسية يحد السودان من الشمال جمهورية مصر ومن الشمال الغربي ليبيا ومن الشرق البحر الأحمر وارتريا وإثيوبيا، ومن الجنوب الشرقي كينيا والجنوب يوغندا، ومن الجنوب الغربي كل من الزئير الكونغو الديمقراطية وإفريقيا الوسطى، ومن الغرب تشاد، فهو بذلك الدولة العربية الوحيدة التي تمتد جذورها إلى القارة الإفريقية[3].

ج- السكان:

نظرا لاتساع رقعة السودان وتنوع مظاهر البيئة الجغرافية في أجزائه وتباين السلالات التي كان لها تأثير في تكوين سكانه، ساعد على وجود أشكال وأساليب متنوعة للحياة[4] الزنوج هم سكان السودان الأصلين وهم العنصر الأسود ـ السود ـ.

كما دخل السودان جماعات من الحبشة وبلاد العرب شرقا، ومن مصر وشمال إفريقيا (البربر) شمالا وغربا، غير أن قدوم هذه الجماعات كان بغرض تجارة العبيد.

---

(1) محمد عوض إبراهيم بكر و مصطفى عامر بكر، الأطلس العربي، دار المعارف، مصر، 1952م، ص 34.

(1) محمد محمود مصطفى، **جغرافية الوطن العربي** ، الطبعة الاولى ، مكتبة المجتمع العربى عمان ، الأردن ،2005م ص 218.

(3) صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص 13.

(4) عبد العزيز طريح شريف، جغرافية حوض النيل ـ السودان إثيوبيا أوغندا ـ مؤسسة الثقافة الجامعية، ط01 الإسكندرية، مصر، 1999م، ص 237.

ويقسم علماء الأجناس سكان السودان وفقا للهجاتهم، وجذورهم التاريخية إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

1) الزبيون ويعشون الشمال
2) الحاميون ويعيشون الشرق
3) الزنوج ويعيشون الجنوب[1].

2_أوضاع العامة في السودان قبل اندلاع ثورة محمد أحمد المهدي:

قبل عام 1861 لم يكن هناك السودان بالتعريف الحديث، وانما كانت المنطقة تعرف ببلاد السودان الشرقية، وجزء من بلاد السودان الأوسط، وهي جزء من بلاد السودان عامة فهو تعريف جغرافي ابتدعه المؤرخون العرب ليميزوا بين إفريقيا الشمالية، وإفريقيا الاستوائية، و بلاد السودان التي تقع بينهما، وكانت بلاد السودان الشرقي والأوسط تتكون من مجموعة من الممالك والقبائل والتنظيمات السياسية، التي كانت مستقلة عن بعضها البعض، ففي الغرب مملكة الفور، وفي الشرق مملكة تقلى، ثم مملكة الفونج، والمشيخات المتحالفة معها والقبائل الخاضعة لنفوذها، وفي الشرق استد النفوذ العثماني على ساحل البحر الأحمر، وفي جنوب سلكة الفونج انتشرت القبائل الزنجية خارج إطار السودان.

وتعتبر الفور والفونج أهم وأقوى تنظيمين سياسين، وفيهما ساد نظام الإقطاعي، والذي كان يقوم على الملكية الإقطاعي للأرض باعتبارها مصدر الثراء الأهم، ويستغل الفلاحين لإنتاج تلك الأرضي لمصلحته، وفي مملكة الفور و الفونج، نجد سيطرة الملوك على الأراضي أو منحها لحاشيتهم ورجال الدين من حولهم ولكن سيطرتهم تبقى، وقد ساعدتهم قوانين الشريعة على إحكام قبضتهم الاستغلالية عن طريق الضرائب الدينية، واستمر هذا النمط السائد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ولكن النظام الإقطاعي لم يبقى محصنا من المؤثرات الداخلية والخارجية، وأهم تلك المؤثرات هي التجارة الخارجية التي نمت نموا بينا خلال القرن الثامن عشر، والتي تعتبر من العوامل الهامة في إضعاف

(1) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي ، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر، 1966م، ص 156.

الضرائب التي فرضت جديد على أهل البلاد، كما أنها فرضت على أي نشاط اقتصادي وكانت تقديراتها باهظة وأساليب جمعها قمعية، وتفاقم من أمرها انتشار الرشوة والفساد مما جعل الناس يصرخون ضيقا (ماتة في تربة و لاريل في طلبة).

لم يسكت أهل السودان على الظلم بل أخذوا في التصدي له، لذلك فإن مقاومتهم له من تكويناتهم القبلية، ومؤسساتهم المحلية، ما كانت فعالة على أن تلك المقاومة رغم تشتتها شكلت خلقية نضالية، وقد مرت مقاومة أهالي السودان بمراحل مختلفة واتخذت عدة أشكال فلقد كانت الحقب الست من الحكم التركي ذاخرة بالمقاومة والبطولات وهذا لا يكاد ينقضي عام دون أن يشهد سنلهرا من مظاهر الرفض، فالسودان الحديث وجد وهو يقاوم الغزو التركي، وشب وهو يقاوم الغزو الأجنبي، وبلغ أشده وهو يقضي على الحكم الأجنبي ورغم غزارة تلك المقاومة وتعدد أشكالها، إلا أن الحكم الأجنبي كان يقضي عليها، لأنها كانت مقاومة متفرقة، تعبر عن السخط والرفض من منطلقات قبلية وإقليمية، ولكنها في مجملها شكلت الخلفية الاساسية التي كانت الثورة المهدية تتويجا لها[1].

ب- الأوضاع الدينية:

إلى جانب ما تم دراسته يجب علينا دراسة المناخ الديني الذي كان ساند في السودان لأن الحركة الاجتماعية عبرت عن وعيها من واقع التراث الديني، و كانت الحوافز المحركة في التاريخ دائما ايديولوجية وغالبا دينية، فكل انتفاضات العالم الإسلامي، كانت تستمد معينها من الدين، وتجد فيه رؤياها الإيديولوجية وتصارع ضد الذين ينحازون بالدين مع الفئات المتسلطة ،وذهب ابن خلدون إلى القول " بأن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من النبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الحملة " [2]، وإن ظهور المهدي من الظواهر الملازمة لإنتفاضات العالم الإسلامي منذ عهد المرابطين والموحدين في اسبانيا حتى المهدي الأخير الذي جابه الانكليز في الخرطوم[3].

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، 17 18.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط01، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1424هـ 2004م، ص 101.

(3) محمد سعيد القدال ، المرجع السابق، ص 22.

وكان للسودانيين الولاء الأكبر للإسلام، الذي انتشر منذ عهد الفونج على يد رجال أتقياء يتبعون إحدى الطرق الدينية التي كانت موجودة في جميع أنحاء العالم الإسلامي [1] وهي :

_الطريقة الصوفية :

كانت المنهج السائد في السودان منذ ظهور الممالك الإسلامية عام 1504م[2]، هو التصوف فشيوخ الطرق الصوفية، هم الذين ساهموا بقدر كبير في نشر الإسلام في السودان وتشكلت الصوفية في مجموعة من الطرق انتشرت في البلاد، كانت لكل منها مشاكلها وأزماتها في القرن 19م، ومن هذه الطرق :

_ الطريقة الشاذلية:

دخلت البلاد في وقت مبكر، قبل مملكة الفونج، ولكن على الأرجح أنها دخلت بعد ذلك على يد عبد الله الشريف الفاسي، تلميذ الشيخ أحمد بن الناصر الشاذلي، وتفرعت اثر دخولها إلى فروع، كان بعضها ينتمي إلى عبد الله الشريف، والأخرى إلى حمد المجذوب في الحجاز، والذي قام بنشرها في أنحاء السودان لكن هذه الحركة لم تستطيع احتواء حركة المجتمع السوداني[3].

_ الطريقة القادرية:

دخلت إلى السودان عن طريق تاج الذين الهادي، ولكن بعد وفاته الشيخ وقع صراع حول الخلافة، وزادت حدته بعد وفاة الشيخ إدريس بن محمد الأرباب ونتج عنه ظهور شعب جديد للطريقة، مما أدي إلى ضعف وحدتها وقلل من فرض تمركزها وانتهت كما انتهت سابقتها[4].

_الطريقة السمانية :

انتشرت على يد الشيخ أحمد الطيب الجموعي بن الشيخ البشير، عام (1893- 1853م) الذي أخذها عن الشيخ محمد السمان في المدينة، ولما توفي الشيخ أحمد الطيب انقسمت هذه

---

(1) هولت، **المهدية في السودان**، ترجمة جميل عبيد، مراجعة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 1978م، ص 25.

(2) الصادق المهدي، **يسألونك عن المهدية**، دار القضايا، القاهرة، مصر، 1975م، ص 130.

(3) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 29.

(4) محمد إبراهيم أبو سليم، **بحوث في التاريخ السودان (الأراضي العلماء الخلافة بربر علي الميرغني)**، ط01، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ ، 1992م، ص 106.

الطريقة إلى ثلاثة فروع، فرع تابع للشيخ القريشي، وثاني تابع للشيخ البصير، وثالث للشيخ محمد شريف نور الدايم، لكن هذه الطريقة كانت ضعيفة التمركز بين الناس، هذا لعلاقتها مع السلطة الحاكمة[1].

_ الطريقة الختمية :

أدخلها السيد عثمان الميرغني من علماء مكة عام (1815م -1819م)، أحد تلاميذ السيد أحمد إدريس الذي بعث بهم إلى البلاد الإسلامية، وجدت هذه الطريقة استجابة رائعة بين الفئة التجارية في المدن، لسهولة إجراءاتها وتنظيمها المركزية، كما احتضنتها قبائل الشرق الذين أمنوا بالإسلام على يدها، لكن ارتباط الطريقة بالحكم المصري الأتراكي حد من نفوذها في لحظات التهوض المعادي لذلك الظلم[2].

هذه أهم الطرق الصوفية التي كان لها تأثير كبير في الحياة السودانية، أما الطرق الأخرى فقد كان تأثيرها محدود، أما الحكم العثماني فقد جاء معه علماء الشريعة، الذين كانوا أداته في إقامة الإسلام فأنشأ المحاكم الشرعية، وأصبح العلماء جزء من النظام مبتعدين عن حياة الناس اليومية، وأنكر الحكم الجديد على الطرق الصوفية، فانزوى رجال الصوفية عن مسرح الحياة السياسية[3].

هكذا كانت الأوضاع الدينية بالإضافة إلى الأوضاع السابقة الذكر، والتي غلبت عليها سمات الضعف والتدهور في شتى المناحي - فلقد كان الموضع في السودان يوشك على الانفجار، وهذا ما تم سنة 1881م -- على يد محمد أحمد بن عبد الله المهدي.

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 30.

(2) محمد أبو قاسم حاج محمد، السودان المأزق التاريخي وأفاق المستقبل، ط01، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص 31.

(3) عبد الله علي إبراهيم، الصراع بين المهدي والعلماء، دار نوبار للطباعة، الخرطوم، السودان، 1999م، ص 14.

الفصل الأول

محمد أحمد المهدي.

1- العقيدة المهدية.

أ. العقيدة في منظور الشريعة الإسلامية.

ب. العقيدة المهدية في منظور المجتمع السوداني.

2- شخصية محمد أحمد المهدى.

- نشأته وحياته.

- شيوخه في التصوف.

3- دعوته.

أ. الدعوة سرا في مارس 1881م.

ب. الدعوة جهرا 29 جوان 1881م.

1): العقيدة المهدية:

أ- العقيدة المهدية في منظور الشريعة الإسلامية:

تعتبر حركة المهدي السوداني حركة دينية في أساسها الفكري وغايتها ووسائلها، وأن التصديق بأنه هو المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم خلع على زعامته نوعا من القداسة، وجعل الناس يتسابقون إلى لقائه والدخول في طاعته، وهذا لا يعني إغفال العوامل الأخرى التي دفعت حركته إلى الثورية، ونخص العامل الثقافي بالذكر هنا إذ أن الصوفية هي التي شكلت وصاغت صورة المهدي المنتظر، لما كانت تمثله من مرجعية بالنسبة للمجتمع السوداني عامة، وشيوخ الطرق خاصة، وهذا التصور لم ينبثق من مصادر السنة الصحيحة المحضة، وإنما اختلط به نتوءات وزيادات أضفتها عليه وأضافتها إليه مصادر أخرى لتلقي، ولا يسلم بها أهل السنة والحديث كالأحاديث الضعيفة والموضوعة والكشف والإلهام، والرؤى وحكايات الأولياء واللفاءات المرعومة بالخطر والأقطاب والأوتاد، بل التلقي المباشر عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة، أو النقل عن اللوح المحفوظ مباشرة[1].

وقد ارتبط مفهوم العقيدة المهدية عند المسلمين بفكرة ظهور المهدي، الذي يخلص المسلمون من الظلم و الاضطهاد، ويشيع بينهم العدل والمساواة ويقيم الشرع الإسلامي وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في قوله : ((إن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر العصور، أنه لا بد في أخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمين، ويستولي على الممالك الإسلامية يسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، و يأتم المهدي في صلاته..)) كما شكك ابن خلدون في أمر المهدي المنتظر ، ونلاحظ أيضا أنه أطلق عليه اسم الفاطمي، نظر إلى أن الفواطم أي الشيعة هم أسبق الفرق إلى الفكرة وأكثرهم حماسا لها[2].

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المهدي، ط08، الدار العالمية للنشر ، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 461.
(2) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 326 327.

كانت فكرة المهدي قائمة على أساس إعادة الدين والدنيا إلى ما كان عليه زمن رسول الله وصاحبته، بإقامة دولة الحق الإلهي التي ستملك الأرض وتدخل كل الناس في طاعة مهدي الله، وقد أوجدت هذه الفكرة تربة خصبة في العالم الإسلامي، وأصبحت معتقد عاما رغم وجود نص قرآني صريح عن المهدي المنتظر، ورغم الأحاديث النبوية عنه على كثرتها إلا أنها لم تورد في مصادر الأحاديث الصحيحة مثل البخاري ومسلم[1].

كانت هذه الفكرة قائمة على هدم كل الأنظمة القائمة والأبنية المادية منها، والمعنوية فكان لها خطرها على العالم الإسلامي إذ تلقتها الفرق الإسلامية، وصاغتها حسب أهدافها وتحت أعلامها قامت حركات عنيفة في أصقاع مختلفة من العالم الإسلامي، كما تطورت وأخذت أشكالا حسب نحل المسلمين ومللهم، وقد شاهدت تطور مع المجتمع الإسلامي وكانت إلهاما لعديد من المطالبين بالإصلاح والتصحيح [2].

وأما من الناحية الاجتماعية والسياسية، فالحركة المهدية تعتبر ذات دلالة بعيدة لأنها مظهر من مظاهر المعارضة للنظم القائمة، تشتد كلما اشتد الظلم والاضطهاد، وكانت دائما شعار المضطهدين والمغلوبين على أمرهم، وبالتالي تعددت صور المهدية وتباينت شروطها وأهدافها، من ذلك أن بعضهم قال أن المهدي المنتظر يظهر بمكة، وحدد بعضهم الوضع ما بين الركن والمقام، بينما قال البعض أنه يظهر بالمشرق بهذا الإطلاق، فيما زعم آخرون أنه يأتي من وراء النهر ويزحف إلى مكة، ثم أشاع المغاربة أن ظهوره بالمغرب، فقد عين بعضهم بأنه يظهر ببعض أطراف العمران، كالزاب في إفريقية تونس- والسوس من الغرب وماسا – هذا الأخير الذي أخذ به المهدي السوداني[3] .

ولقد استعمل اللفظ المعنوي في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرباض ابن سارية المشهور في السنن " انه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كبيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة "، ثم بدأت الكلمة تتطور شيئا فشيا، فخص اسم المهدي لعلي بن أبي طالب

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق،ص 237.

(2) محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدية، ط02، دار الجيل، بيروت، 1979م، ص 32.

(3) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط01، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم، دار الطباعة الخرطوم، السودان، 1970م، ص 02.

وحده ونشأت فرقة تسمى الكيسانية بزعامة المختار بن أبي عبيد الثقفي، فزعم هو وفرقته أن محمد بن أبي الحنفية هو الإمام المهدي، وابتدع المختارين أبي عبيد الثقفي فكرة المهدية لأن أبي الحنفية ليس من نسل فاطمة بنت الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، لذلك نجده يسارع إلى انتهاج سبيل أخر، فقد ذهب يبشر بوحي من الملك جبريل عليه السلام على ما زعم بظهور المهدي، ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا[1].

وكان المتصوفون يشيرون إلى ظهور رجل مجدد لأحكام الملة ومراسم الحق ويتحينون ظهوره، فبعضهم يقول من ولد فاطمة، والبعض يطلق القول فيه، تصور المتصوفة ظهور المهدي في صورة القطب أو ألغوث، كما تصوروا أتباعه في صور أولياء، فلقد لعبت الطرق الصوفية دورها في هذه المحنة، وهيأت أدهان الناس لقدوم ذلك البطل، وكان لمحي الدين ابن عربي وكتبه دور كبير في هذه الناحية، فقد تكلم عن المهدي كثيرا في "الفتوحات الملكية" وغيرها من كتبه، وكانت أقواله وكتاباته متداولة في السودان بكثرة، وقد أخذ عنه المهدي السوداني كثيرا وسار على المنوال الذي اختطه، وكانت مهديته تجسيدا للمعنى الذي أشار إليه ابن عربي في كتبه ومؤلفاته[2].

ب- العقيدة المهدية في منظور المجتمع السوداني:

لقد كان الشعب السوداني يتطلع إلى " المهدي المنتظر " الذي يخلصه من المظالم، التي أتاحت على كاهله بشدة، والتي جعلت من الحكام وحشا مفترسة، فالضرائب الباهظة والرشوة متفشية والدماء المهدرة، والأعراض مستباحة، والعدالة مفقودة وفي مثل هذا الجو يشطح الخيال ويستبد الأمل بالناس، فيتمنون الخلاص بأية طريقة وينتظرون طلوع الفجر من أية ناحية[3].

ويبدو أن فكرة ظهور المهدي قد وفدت إليهم من مصدرين أولهما: مصدر عام هو الإطلاع على المصادر الإسلامية، التي تكلمت عن المهدي المنتظر وانتشار الطرق الصوفية، والاتصال بالمسلمين في البلاد الأخرى عن طريق رحلات الحج والتجارة ومالها

(1) كارول بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة لبيب أمين فارس و منير بعلبكي، ط05، بيروت، لبنان، 1968م ص 132.

(2) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 462.

(3) نفسه، ص 461.

من مسالك الحياة الداعية إلى الاتصال، أما المصدر الثاني : فهو مصدر خاص هو أثر حركة جهاد الفلاني، التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو [1].

وقد بشرت حركة " عثمان بن فوديو " بقرب ظهور المهدي المنتظر بالمشرق، وكتب أصحابه مؤلفات كثيرة في موضوعه، وقد ذكر" محمد بللو" في كتابه " أنفاق الميسور" أن والده عثمان، قد أخبره عن قرب ظهور المهدي، وأن أتباع الشيخ عثمان، هم ابكار أتباع المهدي وأن الجهاد " الفولاني "، لن يخمد أواره حتى يظهر المهدي ويتسلم القيادة، ومن أهم مؤلفاتهم عن المهدي المنتظر، كتاب المهدي المنتظر وكتاب تحذير الإخوان من ادعاء المهدية في أمر آخر الزمان، وهما من مؤلفات الشيخ عثمان دان فوديو، كذلك كتاب القول المختصر في أمر الإمام المنتظر، وغيرها من الكتب التي ألفت في هذا الجانب[2].

كما يرى بعض الباحثين بأن المهدية السودانية هي نتاج للحركة التي نشأت في نيجيريا بقيادة عثمان دان فوديو، وحجتهم في ذلك أن ما كتب عن المهدية في بلاد السوداني الغربي وجد طريقه إلى السودان الشرقي، وأسهم في خلق المناخ الثقافي، الذي قامت فيه المهدية في السودان[3].

إذن فالعقيدة المهدية لها جذور في السودان، هذا بحكم أن السودان جزء من العالم الإسلامي، وباعتبار أنه يتأثر كثير بالتيارات الفكرية، التي تنتشر في العالم الإسلامي، وبهذا نستنتج أن فكرة المهدي المنتظر، قد وجدت رواجا في السودان في الربع الأخير من القرن 19م، وأن الكثيرين قد أصبحوا ينتظرون ظهوره، و من الأسباب الداعية إلى ذلك الظلم الذي تربص بالناس، وتخبط الإدارة المصرية في الأخطاء وتوافق ذلك مع قرب كمال القرن الهجري الثالث الهجري، فهيأ لفكرة إمام القرن الذي قيل أنه يظهر في أخر كل قرن هجري ففي عام 1881م، لم يكن هنالك أي حركات تعصب أو ثورة في السودان، وهذا ما

---

(1) ولد عثمان دان فوديو في ماراته جوبير بالقرب من سكوتو عام 1754م وتوفي سنة 1818م، تلقى تعليما إسلاميا في اغادس في الصحراء، ثم اعتنق الطريقة القادرية ينتمي إلى قبائل الفلاني، بدأ ينشر دعوته وأفكاره منذ عام 1774م، وفي عام 1786م، بدأ في تسليح أنصاره وكون جيشا قويا قضى على مملكة الهوسا، وأنشأ إمبراطورية إسلامية في أقاليم نيجيريا وما حولها وأطلق عليه لقب أمير المؤمنين، أنظر إلهام محمد دهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850- 1914م)**، دار المريخ للنشر، السعودية، 1977م، ص 42.

(2) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 462.

(3) محمد محجوب مالك، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881- 1898م**، ط01، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987م ص 26.

دفع بالناس إلى هجر عبادتهم و وصلوا إلى حالة من اليأس، فقد كانوا مستعدين لأي مغامرة يمكن أن تخلصهم من الظلم[1].

كما لو إذ نظرنا إلى المناخ العام في إفريقية، وجدناه مشحون بفكرة ترقب خروج القائد، الذي يستطيع جمع الشمل ورفع الروح المنكسرة خاصة وأن بلاد العالم الإسلامي قد سقطت فريسة، بيد الاستعمار الصليبي وعانت ما اتسم من تعصب وكراهية، وحقد فبدأت تحلى مراحل السخط والثورة، و الانفجار وفي صيف 1881م، ظهر هذا القائد [2].

2)_ شخصية محمد أحمد المهدي (نشأته، حياته، شيوخه):

أ- نشأته وحياته:

هاجرت أسرت المهدي من الجزيرة العربية، فيمن هاجر من العلويين فرارا من المظالم والآلام، التي كانت يصيبها على رؤوسهم الحجاج بن يوسف الثقفي، في عهد الخليفة الأموي عبد المالك بن مروان وفي عهد ابنه الوليد، وقد اتخذت هده الأسرة وادي النيل مهجر لها، فأقامت في الفسطاط ما طابت لها الإقامة، و بها مات أحد رجالها المعروفين نجم الذين بن عثمان، ودفنا عند " باب الوزير " حي من أحياء القاهرة القديمة، ثم شدت الأسرة رحالها و واصلت رحلتها جنوبا، وقد طاب لبعض أفرادها المقام في " كشتمة " بين " أسوان " و " الدار " ، وظل باقي الأسرة وعلى رأسهم السيد نصر الذين ابن عبد الكريم بين طعن وإقامة، وحل و ترحال حتى انتهى بهذا المطاف إلى إقليم " دنقلة " بالسودان فألقوا عصا تيسر هم هناك، وبعد نزول أسرة المهدي في إقليم دنقلة بالسودان، اتجها بعض أفراد هذه الأسرة إلى جزر ثلاث هناك، فاستوطنوها وهي جزر" ضرار " و " لبب " و " أب تركي " ومن ثم عرفت هذه الجزر، ومازالت تعرف إلى اليوم باسم جزائر الأشراف ومن هذا الأقاليم إقليم " دنقلة "، وفي أواسط القرن 17 هـ سطع نجم أحد رجال هذه الأسرة المبرزين وهو السيد حاج شريف وطار ذكره وبعد صيته وعرف بالعلم والتقوى فقصده الأتباع من كل فج عميق، وقد عمر هدا الشيخ طويلا...و ولد له من الذكور ستة

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة الفكرية في المهدية**، المصدر السابق، ص05.

(2) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 462.

دنقلة: بضم أوله وسكون ثانيه وضم قافه مدينة كبيرة في بلاد النوبة، فإذا استقبلت الغرب كانت على يمارك في الجنوب وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل، وطول بلادها على النيل ميسرة ثمانين ليلة، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان المجلد الثاني،دار صادر، بيروت،/139هـ، //19م، ص 470.

أكبرهم السيد « محمد » جد المهدي من قبل أبيه، ثم قضى الحاج محمد الشريف، ومازالت له ولي ذريته إلى الآن قباب بـ « دنقلة » تعرف بقباب الأشراف [1].

لقد ولد لسيد محمد بن الحاج شريف ولد سماه عبد الله هو والد المهدي، وكان صناعا ماهرا احترف هو وبعض أفراد أسرته حرفة التجارة، واختلفت الراويات في مولد المهدي ونسب إلى ابنه السيد عبد الرحمن المهدي أنه قال: أن والده ولد في السابع والعشرين من رجب سنة 1260 هـ الثاني عشر من أغسطس 1844 « أي في 12 أوت 1844 »، وأن مولده كان بجزيرة لبب، إحدى جزر النيل الواقعة بالقرب من مدينة دنقلة في الشمال (تبعد بنحو 15 كلم جنوب مدينة دنقلة)[2]، من أبوين دنقلاويين (بربريين) من قبيلة تدعى الخناقة تسكن هذه الجزيرة[3]، وتتكون الأسرة من أربع أبناء هم محمد ومحمد أحمد وحامد وعبد الله، وبنت اسمها زينب، أما أمه فاسمها جارة، فهو من ذرية الحاج شريف، ويتصل نسبه إلى النسب الشريف، فهو محمد المهدي بن عبد الله بن فحل عبد الوالي بن عبد الله بن محمد بن الحاج شريف بن علي بن أحمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن عبد الكريم بن حسن بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن أبي العباس بن عثمان بن يعقوب بن الحسن العسكري بن علون بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – والانتساب إلى آل البيت كان سمة سائدة لدى السودانيين [4]، هذا النسب الشريف كان معروف عن الأسرة قبل أن يظهر محمد أحمد ويعلن مهديته، وجعل انتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إحدى علاماته، والانتساب إلى آل البيت معروف في السودان وتقول به بعض العائلات، فالشريف أحمد وطده في الجزيرة والسادة المراغنة يقولون بانتمائهم الشريف وهذا ليس غريب أن تقول به أسرة محمد أحمد[5].

---

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 452.

(2) ونستون تشرشل، **تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان**، ترجمة عز الدين محمود، مراجعة يوسف حسن، ط01، دار الشروق، مدينة نصر، مصر، 1427هـ ، 2006، ص 37.

(3) إبراهيم فوزي باشا، **السودان بين غوردن وكيتشنر**، ج01، إدارة جريدة الطباعة والنشر، الخرطوم، السودان 1319هـ ، 1882م، ص 70.

(4) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان**، ط01، دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1967م، ص 537.

(5) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 37 38.

وفي العام الذي ولد فيها محمد أحمد أجدبت بلادهم بسبب انخفاض النيل، فهاجر أبوه الذي كان يحترف صناعة المراكب، ونزل بنشدي أولا ثم واصل السير جنوبا حتى حط الرحال بكرري شمال أم درمان بقليل، طالبا للرزق ولم يمكث الوالدان إلا قليلا في موطنهما الجديد إذ توفيا[1]، وتركا محمد أحمد رضيع لم يتم الحول بعد فتركاه يتيم تحت كفالة إخوته، وما كان لإخوته غير اقتفاء أثر والدهم في الصنعة، ولكن محمد أحمد منذ صغره كان ميالا لدراسته العلم والدين[2].

لما بلغ محمد أحمد السابعة من عمره اصطحبه أخواه معهما ليعمل في صناعة المراكب وفي ذلك اليوم رأى غلمان ذاهبين إلى الكتاتيب وبأيديهم الألواح، فرغب أن يكون منهم فعنفه أخواه وحسنا إليه صنعة المراكب، ففر منهما ولحق بكتاب بشرق النيل، بقرية كرري وصاحب هذا الكتاب يدعى الشيخ الفكي الهاشمي، وكان مشهور بتعليم القرآن من دون أجر فأدركه أخواه و أخرجاه من الكتاب وحذراه من العودة إليه، فلم يكترث لهم وعاد إلى ما كان فيه، فقيداه عند ذلك تغيرت حاله ولازم الحزن والبكاء فراقا له، وأعاده إلى الكتاب بعد أن اشترطا عليه العودة لتعليم صناعة المراكب، وأخذ في الاشتغال بها ويقول الذين كتبوا سيرته أنه لم يشتغل بصناعة المراكب زمنا، بل صنع مركبا واحد وكان صغير الحجم وتصدق به على أرملة ثكلت ابنها[3].

تعلم محمد أحمد القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن، حيث بدأ ذلك في خلوة كرري ومنها إلى الخرطوم، هاته الأخيرة التي سرعان ما انتقل منها، لأنه وجد أن العاصمة لا تهيأ له الجو المناسب للنسك والعبادة، فأثر أن يرحل إلى إحدى القرى الجزر ليتلقى العلم على أحد الأستاذة هناك، ولم يمكث هناك طويلا، حتى سمع بإحدى خلاوى الشمال، أن علما الغبش يلقون دروسهم في مدرستهم العتيقة التي كان يعلم فيها الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلي واستجابة لتلك النزعة الدينية، هاجر إلى الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلي بالقرب من بربر، وعرف بإنكبابه على الدرس وبزهده وتورعه، إذ أنه رفض أن يتناول طعاما مصدره المرتب الذي يتقاضاه شيخه من الحكومة، ولما استفسر الشيخ عن السبب أفضى

(1) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م، ص250.

(2) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص49.

(3) إبراهيم فوزي بشاء المصدر السابق، ج01، ص72.

إليه تلميذه، أنه يعتقد أن هذا المرتب قد دفع للشيخ من قبل أموال دافعي الضرائب من السودانيين، والتي تمرد عن دفعها الذين جرت عنهم الحكومة وظلمتهم، وأثار هذا الموقف إعجاب الشيخ ولم ينكر عليه واتفق على أن يأكل من حصاد أرض أستاذه، الذي ساهم في زرعها وحصدها[1]

كان محمد أحمد إذ ضاقت نفسه على مأكلها خرج إلى النيل ليصطاد، لكنه كان يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، فقد كان يرمي الصنارة في الماء دون طعم، إذا قيل له بأن يضع الطعم رفض رفضا شديدا، أو قال أنه لا يستطيع أن يغش الأسماك، لأن الغش ليس من شيمة المسلمين، ويتمثل الحديث الشريف " من غشنا فليس منا " [2].

فتصرفات محمد أحمد هذه خلفت له نوعا من التوقير واللمعان، ويدل على ذلك أن بعض أقرانه في خلوة الغبش، قد انظموا إليه فيما بعد وأعطوه ولاءهم الكامل، ويأتي في مقدمة هؤلاء أستاذه محمد الخير، الذي كان قد لقن محمد أحمد العلوم النقلية حتى صار عاملا له على بربر ودنقلة [3].

فارق محمد أحمد أخواته إلى وجهة مجهولة، فلم يهتدوا مكانه، وماتت أخته غما وحزنا لفراقه، لحق محمد أحمد بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعى الشيخ محمود، الذي كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية، ثم فارقها إلى مدرسته محمد الخير[4].

أخذ الفتى محمد أحمد يميل في هذه الفترة إلى العزلة بشكل لفت الأنظار، زاره أستاذه في غرفته فوجده يقرأ كتاب الغزالي " أحياء علوم الذين " وهو يبكي من الانفعال، فأخذ منه الكتاب، وأمره ألا يمس مثل هذه الكتب، إلا بعد دراسة مختصر الخليل في الفقه المالكي دراسة وافيه، وفي هذه الفترة تم زواجه الأولى، فبعد أن أخذ الإذن من أستاذه غادر بربر إلى الخرطوم حوالي(186م - 1865م)، فهناك رواية تقول أنه قبل هذا الزواج بإلحاح

---

(1) فضل الله علي فضل الله، **العبور بالعودة للجذور دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية**، ط01، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1990م، ص 62.

(2) قد تكون هذه القصة كلها من إبداع الخيال الشعبي الذي نسج حول رجل قصص منذ صباه لتنسجم مع مواقفه البطولية لاحقا، أنظر ضرار صالح ضرار، **تاريخ السودان الحديث**، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م ص 103.

(3) محمد ابراهيم أبو سليم، **الحركة الفكرية في المهدية**، المصدر السابق، ص 13.

(4) ابراهيم فوزي باشا، ج01، المصدر السابق، ص 72.

إخوته عليه، لأنه في هذه الفترة من حياته في بربر كان يقف في مفترق الطرق، فعلوم الدين التي درسها متنقلا بين خلاوي البلاد، قد بلغ منها مبلغا بعيدا، ومن جانب أخر كانت الصوفية تفرض نفسها عليه بإلحاح، في هذا الوقت جاء إخوته يطلبون منه الزواج، وما كان إلا أن يرضخ لهم، وهو لم يستقربه القرار فذهب إلى الخرطوم وتزوج من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج، وفي حفل زواجه كان له موقف، فقد اجتمع الرجال والنساء ليرقصوا مختلطين كعادتهم في مثل هذه الليالي، فمنعهم وما كان لهذا الزواج أن يعمر طويلا، فقد تشاجر مع زوجته، حيث كان في إحدى الليالي منهمكا في قراءة القرآن، فدخلت عليه واختطفت الكتاب منه، وحدثته للبحث عن عمل فما كان منه إلا طلقها [1].

ب ـ شيوخه في التصرف:

لم يبلغ محمد أحمد العشرين من عمره حتى أخذ من العلم الكثير، فقد درس النحو والصرف والفقه والتفسير، وأولع بالأدب والعلوم العقلية، فدرس الفلسفة والعلوم الطبيعية والمنطق[2]، ولم يقف عند هذا الحد من التعليم، فبعد أن درس الفقه والشريعة، رأى أن يمارس الحياة الصوفية وأن يلتحق بالطريقة تشبه فهمه من الناحية، ورأى في الشيخ محمد الشريف نور الدايم [3] شيخ الطريقة السمانية خير مرشد له، وهناك وجد وقت متسع للعبادة والتأمل، وسمح له بأن يسلك الطريق فانغمس في الثقافة الصوفية، وقرأ كتبها كإحياء علوم الدين للغزالي والفتوحات المكية لمحي الذين بن عربي والكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة[4]، و النغمات الأهلية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية، وتوغل في مؤلفات الشيخ أحمد الطيب البشير، وكانت تلك الكتب الصوفية تحمل أمرا جديدا لم يألفه في " المختصر والرسالة والجوهرة "، وقد وجد في حقل الثقافة الصوفية مستقرا، هدأت فيه نفسه وارتاح عقله ودخل في عداد المريدين، وهنا وجد متسعا من الوقت للعبادة والتأمل، واستمر في

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 51 52.

(2) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 454.

(3) الشيخ محمد شريف الدايم أشهر زعيم صوفي بين بربر والخرطوم، وهو حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية والشهير برجل أم المرح، أنظر محمد البشير عمر، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م كلية الآداب بجامعة الخرطوم، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، 1980م، ص 23.

(4) مكي شبيكة، تاريخ الشعوب وادى النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ص 643.

الاحتطاب وتجهيز طعمه بنفسه، فقد خاض محمد أحمد في أم المرح لج التصوف، فكان يقضي الليل متعبدا، لا كغيره من الجيران نائما، فكلما تفقد محمد شريف تلاميذه وجد " الفتى الدنقلاوي " يجلس منفردا يتعبد، وكلما "وقف للصلاة يبكي حتى يبلل الأرض بدموعه»[1]، وقد وصف محمد شريف حال محمد أحمد في قصيدة مشهورة قال:

وكم صام وكم صلى، وكم قام كم تلا من الله مازالت مدامعه تجري

وكم بوضوء الليل كبر للضحى وكم ختم القرآن في سنة الوتر[2]

وقضى محمد أحمد سنوات عديدة على هذا المسلك، فمال إليه محمد شريف و أحبه وجعله شيخا وأعطاه راية، وأذن له في الذهاب لنشر العهود وتجديد للطريقة، كما اعتبر بمثابة المعلم الديني في حال غياب الشيخ، وكان لهذه المرحلة فائدتان: الأولى أنه استطاع أن يبني لنفسه سمعه خاصة به، لكنها تحت مظلمة الشيخ محمد الشريف، أما الثانية فهي تمكنه من التجول في قرى السودان، لقد تعلى أرض الجزيرة وأواسط السودان، ووقف على بعض معاناتهم في ظل النظام القائم[3].

احترف محمد أحمد بيع الخشب في سوق الخرطوم، وعلم ذات مرة من امرأة تساومه فيه أنها تريده لتقطير الخمر، فأنفق ما بقي من الخشب على الناس، وترك بيعه نهائيا واشترك مع غيره في تجارة الذرة، وحدث ذات مرة أن صعدا في النيل الأبيض، ولما ابتعدا كثيرا من الخرطوم طلب من شريكه أن يبيعا ما عندهما ولكن الشريك اعترض، لأنه رأى أنهما كلما ابتعدا كلما كان ربحهما أوفر، فاعترضه محمد احمد فوقع خلفا بينهما وفضا الشراكة، وباع محمد أحمد نصيبه في الحال وترك أمر التجارة نهائيا [4]، وكان في هذه الفترة قد تزوج للمرة الثانية من فاطمة بنت أحمد شرفي (رافقته إلى آبا ثم قدير حيث توفيت حوالي عام 1882م)، انتقل محمد أحمد مع شيخه إلى منطقة العواديب القريبة من آبا في سنة 1872م، وكان من أثر اجتماعهما في هذه المنطقة أن اشتد نفوذ طائفة السمانية التي

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 53 54.

(2) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، المصدر السابق، ص 641.

(3) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 55.

(4) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، المصدر السابق، ص 641.

كان يتزعمها محمد شريف في منطقة النيل، بالأخص نفوذ أحمد الذي بلغت شهرته شأوا عظيما، لا لكونه داعية من دعاة السمانية فقط، إنما لاعتقاد الناس فيه هو شخصيا [1].

فقد ذكر« كاساتي» أن الوابور الذي كان يقله جنوبا، خفف من سرعته عندما مر على جزيرة آبا وذلك لتحية الشيخ الصوفي محمد أحمد و هكذا استقر الشيخ في آبا يعيش من عمل إخوته ومن الهدايا التي تصيبه من الناس[2]، وفي هذه الفترة توطدت علاقته بأستاذه محمد شريف وازدادت شوقا، فكان يزوره في مواسم الأعياد لتقديم فروض الولاء ووصل عمق العلاقة بينهما، إلى درجة أنه استطاع أن يقنع أستاذه بالانتقال من أم المرح إلى العواديب بين آبا والكوة على النيل الأبيض، إلا أن هذه المكانة التي تبوأها ما لبث أن تضعضعت لخلاف وقع بينه وبين شيخه، وقد خاضت كتب التاريخ كثيرا في أسباب هذا الاختلاف وقد ذكر محمد شريف لنعوم شقير بعد موقعة كرري عام 1898م، أن سبب خلافه مع محمد أحمد هو إدعاؤه بأنه المهدي[3].

غير أنه يرى أتباع محمد أحمد أن سبب الخلاف، الذي جعل محمد شريف يطرد محمد أحمد من طائفته هو غيرته من المكانة، التي خلقها محمد أحمد لنفسه وولاء الناس له فمحمد الشريف، قد أقام له في منطقة نفوذ محمد أحمد خليفة أخر هو الشيخ رضوان، فأنكر محمد على شيخه هذا التحامل، ووقع نفور بينه والشيخ رضوان، وأفضى ذلك إلى تلامذتهما فصار كل فريق يندد بالأخر ويحقد عليه، ومازلت أسباب النفور تتزايد حتى اتصل الفريقان إلى الضرب، تغلب فريق الشيخ رضوان فهشموا رأس محمد أحمد، من ذلك الحين حقد محمد على أستاذه، وذهب حبه واحترامه من قبله، فانكشفت له عيوبه[4]، وبلغ هذا الإدراك ذروته على حسب بعض الروايات أن شيخه أسرف في إقامة ملاهي المختلفة، من رقص وغناء وزغاريد في مناسبة ختان أولاده، وهذا ما لا يرضاه رجل في درجة محمد أحمد من التصوف والزهد والعمل بالشريعة، فقام محمد أحمد بنهي أصحابه بحجة أن الشريعة تمنع

(1) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 641.

(2) كاساتي (1828-1902م) رحالة إيطالي زار السودان و انظم إلى أمين باشا في الاستوائية، أنظر: محمد سعيد القدال المرجع السابق، ص 57.

(3) نفسه، ص 57 58.

(4) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 641.

ذلك [1]، وليس في وسع أحد أن يخالفها، ولو كان شيخ الطريقة نفسه وبلغ الخبر محمد الشريف، وكان قد بلغه أيضا تنديده عليه لقبوله النساء في مجلسه، فاتخذ تطاوله هذا ذريعة لشفاء غليله منه واستحضره ووبخه توبيخا شديدا، ومحا اسمه من الطريقة، وقال له اذهب فقد صدق فيك المثل القائل« الدنقلاوي شيطان مجلد بجلد إنسان »[2].

مما اضطره إلى تركه والاتصال بشيخ أخرمن مشايخ الطريقة السمانية، وهو الشيخ القرشي في حلوين، وذلك رغبة في أن يواصل تبعيته للطريقة السمانية، رغم اعتراضات شيخه السابق عن هذا التصرف[3]، كانت الفترة من اتصاله بالشيخ القرشي ود الزين عام 1878م، حتى عام 1880م، فترة حرجة في حياته، فهي من جانب امتداد لحياته الصوفية الأولى، ومن جانب أخر مرحلة انتقالية في حياته مهدت لقيامه بأمر المهدية، هي إذن فترة دقيقة لأنها شهدت الانتقال الحاسم من شخصية الرجل الصوفي إلى شخصية المهدي، فلقد وجد محمد المهدي عند الشيخ القرشي مناخا ملائما، أكثر قربا من الذي كان عند شيخه السابق، فالقرشي أخذ الطريقة رأسا عن الشيخ أحمد الطيب البشير، كما يقول القدال كان صوفيا في منهجه ومسلكه[4].

وقد نال محمد أحمد خطوة عند شيخه وقربه إليه وزواجه ابنته، كما أنه قد أوحى إليه بفكرة المهدي المنتظر لأول مرة، في قوله "... أديته ابنتي وفرسي و أنا موعود أن فرسي ده يركبه المهدي، وشيخته و أديته الإجازة.... »[5] وتذهب هذه الرواية إلى نوع من الجزم في أمر المهدي، وهو ما لا يتفق مع الأحداث، فالمهدي المنتظر والمشيخة لا يسيران معا وكل الأمر أن الشيخ القرشي رأى في ذلك الشاب الورع التقي، الشخص المناسب الذي

---

(1) محمد بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 456 457.

(2) شحاتة حسن إبراهيم، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة أحمد العوام - دراسة مقارنة في الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية اتجاهات الفكر الثوري في عهدهما - مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، مصر، 1971م ص 137.

تقول بعض الراويات الشفاهية في أم المرح أن المهدي اعتكف في غار هناك لمدة ستة أشهر معاقبا نفسه، لغضب أستاذه عليه ولم يخرج، إلا بعد أن عف عنه،أنظر محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 58.

(3) محمد إبراهيم ابو سليم، الحركة الفكرية، المصدر السابق، ص 16.

(4) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 62.

(5) محمد إبراهيم أبو سليم، المصدر السابق، ص 16.

سيخلفه، فهو يتمتع بصفات تؤهله ليقوم قومه في أمر دينهم ودنياهم، فأشاد به وبالغ في إشادته، وربما أطلق ذلك التصريح عنه مشبها له بالمهدي أو ألصق به بعد وفاته [1].

وقد سمحت له مكانته هذه أن يجوب الأقاليم السودانية سائحا بين أرجائها، ومتفقدا لأحوالها وأحوال الناس، الذين لمس فيهم التطلع إلى من يصلح أحوال هذه البلاد، ويأخذ بيدهم إلى بر الأمان، كما أن أحاطته بنفسه بهالة كبيرة من التقوى والورع انتشر أمرها بين عامة الشعب بكردفان، فالتفوا حوله طلبا لبركاته وفي هذه الآونة توفي شيخه [2].

بعد أن سمع محمد أحمد بوفاة شيخه، حتى توجه مع تلاميذه ليقيموا له قبة فوق قبره وبعد فراغه من البناء بايعه أتباع الشيخ القرشي، ونصبوه شيخا جديد لهم، وهكذا تأكد مركزه كزعيم لطريقة السمانية، على أنه لم يمضي وقت طويل حتى اكتسب مكانة تفوق مكانة مجرد شيخ صوفي [3]، وكان عليه أن يستفيد من هذا الاتجاه العام، الذي وجد في السودان عن المهدي وتوقعات ظهوره، كما أن التقاء بعبد الله التعايش زاد من فرضية فكرة المهدي المنتظر، التي أخذت تتبلور شيئا فشيئا في دهن المهدي [4].

3) ـ دعوته:

لم يكن طريقا هينا ولا ميسورا ذلك الذي بدأ يسير فيه الشيخ محمد أحمد، والبلاد يغشاها الظلام العشي في النصف الثاني من القرن 19 م، إن دعاء المهدية ليس بالأمر العسير، فما أكثر أولئك الذين ادعوها، إنما العسير حقا أن يؤمن الناس بتلك الدعوة ويحتضنوها، وأن يتم التخطيط لانتصارها، فمحمد أحمد عند ادعاها، كان يملك مؤهلات عالية اكتسبها من سنوات جهاده الصوفي، وسنحاول تتبع خطوات ذلك الطريق حتى ظهر أمر المهدية.

أ ـ الدعوة سرا في مارس 1881م :

كانت أولى خطوات الطريق التي وضعت حدا فاصلا بين نشاط محمد أحمد الصوفي ومحمد أحمد المهدي، هو اتخاذ السرية منهجا في دعوته واتصالاته، فالسرية هي التي تقلته

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 16.

(2) هولت، المصدر السابق، ص 16.

(3) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، المصدر السابق، ص 643.

(4) التعايشي: ولد عبد الله التعايشي بن السيد محمد ونشأ في الدار التعايشية في دارفور وكان والده السيد محمد ممن اشتهروا بالورع والتقوى والصلاح، دخلت أسرته السودان عن طريق منطقة وادي ويرتو...وأصبح الخليفة بعد وفاة المهدي، أنظر: مكي شبيكة، السودان عبر القرون، المصدر السابق، ص 381.

من داعية صوفي في حدود النظام القائم، إلى داعية لأمر خارج النظام القائم، مما يحتم عداءه ويستوجب ردعه[1]، فبدأ يسر لمن حوله من المريدين الذين التفوا به لتصوفه وورعه، بدأ يسر لهم ببعض الخواطر التي كانت تطرأ عليه[2]، وكانت أكثر تلك الرؤى حمسا مشاهدته للرسول صلى الله عليه وسلم، بعد الانتهاء من بناء قبة الشيخ القرشي، حيث أبلغه أنه المهدي المنتظر، وكان محمد أحمد يسمع قبل أن يأتيه اليقين هواتف تناديه " يا مهدي الله " و " مرحبا بالمهدي " فكان يعرض عنها ويستعيذ بها ظننا أنها من فعل الشيطان.

إلا أن وصل محمد أحمد إلى مرحلة اليقين في أنه المهدي، فبدأ يتصل بأصحابه في أبا في سرية تامة، ليفضي لهم بتلك الهواتف، وكلما لقي قبولا كلما توسع في اتصالاته السرية وقد ساعدت تلك السرية في إخفاء أمر المهدي ودعوته، وهي لم تزل في مهدها، فلم تكن الإدارة التركية على علم بتلك التحركات، كما أنه لم يكن ذلك النفر في أبا بحاجة إلى عمل دعائي مكثف، فقد كانوا لصيقين بالشيخ مأخوذين به، فثبتوا أقدامه، فنتقل باتصالاته إلى بعض معارفه من رجال الصوفية، الذين أنس فيهم ميلا للأخذ بما يدعوا له، وكانت رسائله في هذه الفترة مشوبة بالحذر والإشارات الباطنية، وهي لغة يفهمها متصوفة العصر، فهو يتحدث عن إقامة الدين والدخول في العهد المعلوم.

ومن أبا إلى الأبيض خرج بصحبة جماعته، مواصلا نشاطه الصوفي العلني، فكان يدور المدينة بعد منتصف الليل، فلتفت الناس حوله عند سماعهم خبر وصوله، فكان يلقي على الجموع النصائح والإرشادات بترك الدنيا الفانية، والإقبال على الآخرة، ويبكي بعين واحدة فأحبه الخلق محبة عظيمة، ولما تمكن من محبتهم أظهر لهم أمر المهدية[3]، كما اتصل بأحد الشخصيات البارزة في العاصمة الأبيض، وهو الشيخ محمد المكي بن إسماعيل شيخ الطريقة الإسماعيلية، وأعلن محمد أحمد للمثقفين من رجال الدين أنه المهدي المنتظر معزز ذلك بما تراء له الرؤى والأحلام، بالإضافة إلى ما جاء في الأحاديث عن ذكر المهدي

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 75.

(2) يونان رزق، قيام وسقوط المهدية في السودان المعاصر، مجلة السياسة الدولية، العدد 21، مؤسسة الأهرام، مصر 1970م، ص 11.

(3) محمد سعيد القدال، المرجع السبق، ص 78 79.

وقد بلغ أبو المسعود الجزيرة في 11 رمضان 1298 هـ الموافق لـ 08 أوت 1881م جرى بينه وبين محمد أحمد المهدي حوار، أدرك منه أبو المسعود أن المهدي مصمم على دعوته فعاد إلى الخرطوم، وأخبر الحكمدار بما جرى بينه وبين محمد أحمد المهدي، وفي نفس الوقت أرسل محمد برقية إلى الحكمدار يرد فيها على خطابه، الذي حمله أبو المسعود مؤكدا له أنه المهدي المنتظر، وأنه ولي الأمر معلنا عن عزمه على القضاء على الترك بحد السيف، فما كان من رؤوف باشا، إلا أن أرسل أبو المسعود نفسه على رأس قوة ليجبر محمد أحمد على المجيء للخرطوم، والقضاء على حركته في المهد، بلغ أبو المسعود أبا في 16 رمضان 1298 هـ 13 أوت 1881م، بلغ هذا الخبر إلى مسامع محمد أحمد فاستعد لها وكانت الواقعة الأولى بقيادة أحمد المهدي[1].

إن الدعوة التي جاء بها محمد أحمد المهدي ردت الاعتبار إلى التراث الصوفي، ففكرة المهدي المنتظر وجدت في شخصية محمد أحمد تجسيدها البشري، فلعبت بذلك هذه الشخصية دورا هاما في نشاطه، سواء كان داعية صوفيا أو مهديا، فشخصيته ليس كإقية متصوفة العصر، وإنما هو إمام صوفي مؤهل للقياد و ارتياد الجماهير الكبيرة.

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الثاني

أسباب اندلاع الثورة المهدية والعوامل المساعدة في نجاحها.

1-أسباب الثورة المهدية:

أ. الأسباب الدينية.

ب. الأسباب السياسية.

ج .الأسباب الاقتصادية.

د . الأسباب الاجتماعية.

2-العوامل المساعدة في نجاح الثورة المهدية:

1)_ أسباب الثورة المهدية:

أ- الأسباب الدينية:

إن ادعاء محمد أحمد أنه المهدي المنتظر، الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره في وقت نشطت فيه الطرق الصوفية في البلاد، وتعددت فيه المدارس القرآنية والدينية، في بلد كان يؤمن بأن سلطان الدين يعلوا فوق كل شيء، وكان السودانيون على اختلاف قبائلهم يرون أن الزمان يسير من سيء إلى أسوأ، وأن الدين لم يعد في صفائه ونقائه، وكانت نفوسهم تتوق إلى أيام الإسلام الأولى، حيث لا ظلم ولا جور، وكان محمد أحمد يهدف أساسا في دعوته لجعل الدين الإسلامي هو المتمكن في الأرض، وإعادة زمن الخلافة الراشدة، ولا يتأتى ذلك إذ كانت الحدود والشرائع معطلة، كما كانت الحال عليه أنداك في السودان، بل كان يهدف أكثر من ذلك إلى إقامة حكومة إسلامية، تحكم شرع الله في الأرض وتنهي الجور والفساد، وقد سمع السودانيون كغيرهم من الأقارقة، عن قرب ظهور المهدي المنتظر الذي يصلح الله به أمر الأمة، ويعيد للإسلام القوة والمجد والعزة[1].

غير أن الكثير من المؤرخين يجمعون على أن الأسباب، التي أدت إلى اندلاع الثورة المهدية، تتمثل في فداحة الضرائب وتفشي الرشوة والظلم، والمناداة بإبطال تجارة الرقيق وهذا مدفع الناس للانضمام إلى راية المهدي، فالمهدي قد استعان بالبارزين ممن كانوا فريسة لواحدة أو أكثر من تلك الأسباب، غير المؤرخ السوداني مكي شبيكة يرى أن المحرك الأولى للثورة المهدية، هو المعتقد الديني وشخصية محمد أحمد المهدي، الذي تربى تربية إسلامية دفعته لإعلان ثورة دينية من أجل إقامة دولة إسلامية[2].

فالسودانيون كانوا معظمهم يدنون بالعقيد الإسلامية بواسطة الطرق الصوفية وإتباع المشايخ، ويعطون وزنا كبيرا للكرامة وخوارق العادات، وكانوا يأملون أن يجدد الإسلام على رجل من آل البيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويملأ الأرض عدلا وينهي الجور ويقضي على الظلم، فهم يؤمنون بفكرة المهدي المنتظر ولا ينكرونها فرجال الدين الذين كانوا يؤثرون على الجمهور الإسلامي، هم أرباب الطرق الصوفية، ويفخرون بأنه قام بهذا

---

(1) إلهام محمد دهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 -1914م)، المصدر السابق، ص 42.

(2) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، المصدر السابق، ص 271.

الأمر رجل منهم، وأن الفرصة قد حانت للقيام لنصرة الدين، فبثوا الفكرة في تلاميذهم وأتباعهم، فتابعهم العامة إما اقتداء لهم أو خوفا منهم [1].

فالعامل الديني يدل على شدة تمسك المجتمع السوداني بالدين والتقاليد، وإن كان لا يتماشى مع القوانين الوضعية، التي طبقتها الحكومة المصرية، فالسودانيون أوجدوا في المهدي الشخصية الأمثال للخروج البلاد من الظلم والجور، الذي يعانونه من طرف الجهاز الحاكم، كما رأوا فيه أملهم الوحيد بالرجوع إلى الإسلام الأولى الذي جاء به الفاتحين.

فالأسباب الدينية تمثل القاعدة الصلبة، التي انطلقت منها الثورة المهدية، والتي استلهم منها محمد أحمد أفكار ثورته، واستمال بها عقول وقلوب السودانيين، الذين كانوا تحت وطأة الحكم العثماني المصري.

ب-الأسباب السياسية:

لقد أوجد السودانيون في دعوة المهدي بابا للفرج أو فرصة لشق عصا الطاعة ومرجع ذلك، يعود إلى سوء الإدارة، وفساد الحكام، وعدم إتباع السياسية اللائقة بأهل السودان، فسوء الإدارة نتج من شعور تولد لدى المسؤولين المصريين، بحيث نظروا إلى الخدمة العسكرية في السودان كمنفى و كعقوبة لهم، توقعوها الحكومة على الذين تريد إبعادهم والتخلص منهم، كما تألفت إدارة السودان من أردئ العناصر الموظفين، الذين كفى وجودهم هناك من أن يعطل أي رفع في مستوى تطور الإدارة، أو أي إصلاحات قد تصدر عن الخديوية في القاهرة أو الحكماريين في الخرطوم، كما كان كافيا لضياع العدالة وانتشار المظالم، فالوسيلة التي اتبعها الحكام المصريين في السودان اتسمت[2].

بالعنف فالسياسة التي اتخذها إسماعيل باشا فاتح سنار للتنكيل بالملك نمر، عادت عليه وعلى أصحابه وألت إلى خروج الملك نمر عن طاعة الحكومة، فلجأ إلى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاص وناقم على الحكم المصري، فكان شرا عظيما على الحكومة هو

(1) الصادق المهدي، يسألونك عن المهدية، المصدر السابق، ص 144.

(2) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ميلادي 1820 - 1899م، ط 03، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963م، ص 245.

وأولاده من بعده، ولما ظهر المهدي كانت بقية أولاده في القضارف[1]، فكانوا أول من نصروه ورفعوا رايته في السودان الشرقي، كما أن الدفتدار الذي جاء من كردفان للاقتصاص من الجانبين في مقتل إسماعيل باشا، لم يقف عند حد، بل عم غضبه المجرم والبريء، ونكل بالجعليين تنكيلا لم يروه، ولا سمعوا به من قبل، فإنه قتل وسبى وأذل الأهالي، فحقدوا على الحكومة وأورثوا هذا الحقد لأبنائهم من بعدهم، حتى قام المهدي فقاموا معه يطالبون بثأر من هذا الدفتدار[2].

أما الحكام الإداريين والذين هم من أهل البلاد، فإنهم كانوا أصل جميع المظالم والخراب في البلاد، فقد كانوا يشترونا الوظائف بالأموال، كما أنهم كانوا لا يصغونا لشكوى المظلومين، كذلك انظم إلى دعوة المهدي العديد من القبائل لما لحقها من ظلم وتسلط من جند الحكومة من بين هذه القبائل البطاحين والشكرية[3].

هذا الغليان الشعبي من سوء إدارة وظلم، استثمره محمد أحمد المهدي في ثورته فقد شاهد أرواحا مهدورة، وحريات مغتصبة، وأملاكا منهوبة، وبلادا مغربة والناس بين أثرياء ساقتهم تيارات النعيم إلى الشهوات والغواية، وبين فقراء طحانتهم الفاقة فقدوا زمام التجمل بالصبر واتجرقوا إلى الفساد والهاوية، ثم أن حكومة القاهرة أرسلت إليهم، أمثال بيكر وغوردون وهؤلاء نصارى لا يدينون بدينهم، وكان أسلوبهم في الحكم مرسوما بالتحدي لشعائر الإسلام وفرائضه، حتى تصور للناس أن الحكومة تريد بهم وبدينهم شرا، كما كان لتزامن ظهور الثورة المهدية في السودان بروز الثورة العرابية[4]، في مصر التي أعطت

---

(1) تعتبر منطقة القضارف ـ القلابات ـ وحدة جغرافية قائمة بذاتها لها خصائصها وميزاتها الخاصة بها ويسميه الجغرافيين بمرتفع القضارف، تقع هذه المنطقة بين خطي طول 37° و 34° شرقا، وخطي طول 15°و 12° شمالا وهي جزء من أرض البطانة التي تقع بين النيل الأزرق ونهر عطيرة، وتمتد حتى حبشة ، أنظر سعيد القدال: **المهدية والحبشة دراسة في السياسة الداخلية و الخارجية لدولة المهدية 1881 ـ 1889م**، ط 01، دار الجيل، بيروت، لبنان،1412هـ ، 1999م ص 09

(2) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان** ، المصدر السابق، ص 632.

(3) فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 246.

(4) الثورة العرابية: ثورة نشبت في مصر قادها الزعيم الثائر أحمد عرابي (1841 ـ 1904م)، أحد ضباط الجيش المصري الذي تمردوا على سلطة الخديوي توفيق، انطلقت هذه الثورة سنة 1881م، مما جعلها مواتية الثورة المهدية في السودان وصعب القضاء عليها، انظر عبد الرحمان الرافعي، **الزعيم الثائر احمد عرابي**، ط03، دار الشعب، القاهرة مصر، 1968م، ص 05 ـ 37.

المهدي السوداني الإشارة، وفتحت أمامه الطريق للثورة، وكانت ملهمة لأفكاره وهتفت للسودانيين هيا حطموا قيود الذل والعبودية والدليل على ذلك:

- أن الثورة المهدية قامت بعد أشهر قليلة من قيام الثورة العرابية بمصر.
- أن الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة العرابية هي نفس الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية.
- أن نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب المصري هو نفس نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب السوداني.
- أن الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر بمروق الخديوي عن الدين الإسلامي بخيانته وانجازه للجيش البريطاني، قدمت إلى المهدي أكبر حجة لتصوغ ثورته ضد ممثلي هذا الحاكم ونوابه في القطر السوداني.
- تشتت الجيش المصري بين جهتين أفقده قوته وهيبته وسهل بقيام الثورة.

وكذلك من أسباب ثورة المهدي مظالم الحاكم، ومعاناة المواطنون من الجور والظلم، فإن أغلبية هؤلاء الحكام كانوا من الشركس والأتراك[1]، وقد زاد ارتكاب هذه المظالم، أن الحكومة كانت تعتبر السودان المنفى للحكام، ولم تكن ترسل إليه - في الغالب - إلا الموظفين المغضوب عليهم.

فالموظف الذي يذهب إلى السودان وهو شاعر بأنه معبد أو منفي، لا ينتظر منه العدل أضف إلى ذلك أن حكام مصر لم يكونوا في الغالب مثال العدل، فهذه المظالم كانت سببا في هجرة العديد من الناس إلى مناطق بعيد كالقبلات (القضارف)، وبحر الغزال، ودارفور كما أن هذا الواقع السياسي سمح للحكام أن يفضلوا قبيلة على أخرى، طريقة صوفية على أخرى، جماعة سياسية على أخرى، ليزداد التمزق، وفي الوقت نفسه كانت الخيوط، التي تحكم مقدرات البلاد في يد الحكام الأجانب، فقد وصل الأمر إلى عدم احترام مشاعر السودانيين، وحدث أن ولى سعيد باشا أراكيل بك ألأرمني عليهم، ولما غضب بعض المتنورين لتولى مسيحي عليهم أرسلوا إلى السجن بالإسكندرية، ثم حدث أن تمردت حامية الجند وقالوا لن يحكمنا نصراني لكن هذا التمرد سرعان ما أخمد بقوة السلاح.

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المهدي، المرجع السابق، ص 463 465.

أما بالنسبة للمحاباة فهي تعتبر من الأمور التي ساءت الأهالي، فزادتهم وجدا على الحكومة تميز الشايقية الذي جندتهم عساكر وأعفتهم من الضرائب، في حين أنها أثقلت بها على سائر الأهالي مع أن الجميع من مقام واحد، وما من قبيلة معروفة في السودان تعترف بامتياز الشايقية عليه[1].

ومما ساء الأهالي على وجه الخصوص رؤساء الطرق، تمييز المرغنية على سائر الطرق في السودان، حتى كثر أتباعهم وعظم جاههم، وهذا وإن لم يكن صريحا من أصل الحكومة بمصر، فهو مسبب عنها فإن الحكام وأهل النفوذ من رؤساء الأقلام ليسوا من أهل السودان، وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس والمعاملات، تختلف عن عادات أهل السودان، فمالوا إلى مخالطة المرغنية للمشاكلة أولا، ولانتساب المرغنية إلى مكة المشرفة ثانيا، وبسبب ذلك مال إليهم عساكر الشايقية عموما لتقربهم من رجال الحكومة ودخلوا في سلكهم حتى صار كل سر سواري يهدي إليهم مرتبه ومرتب رجاله شهرا في كل سنة فازدادت بذلك صولة حلفاء المرغنية، وصاروا يتطاولون على رؤساء الطرق الصوفية الأخرى، بالشتم والسب والإهانة، فحقدوا عليهم وعلى الحكومة، التي كانت السبب في تعظيم شأنهم.

إن المحاباة وتفضيل قبيلة على أخرى، مع انتظار جمهور المسلمين للمهدي، كما بيناه قبل هي التي حملت الأهالي على نصرة محمد أحمد، والثورة معه على الحكومة، ورجالها وكان رؤساء الطرق وتجار الرقيق من أكبر أنصارها، وأشد مؤيديها، ولم يبق في جانب الحكومة إلا الشايقية والمرغنية، الذين وجهت الثورة ضدهم، وضد كل من يقف مع الحكومة[2].

فمن الملاحظ أن الأسباب السياسية كانت بمثابة الشرارة، التي ألهبت الثورة فالحكومة المصرية ونظام الحكم فيها، كان لعنة وعار فلم يكن هناك قانون يحكم فكل شيء منهار فساد، عنف، رشوة وظلم، وحكام جهلة قساة، فقدوا كل إحساس بكرامة وهذا عجل بقيام

(1) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، المصدر السابق، ص 245.
(2) نعوم شقير، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 318 319.

الثورة المهدية، فقد رأى السودانيون أن خلاصهم من هذا القهر يكون على يد محمد أحمد المهدي.

ج- الأسباب الاقتصادية:

لقد كان الوضع الاقتصادي من العوامل الأساسية لنشوب هذه الثورة، في وجه النظام المصري العثماني، حيث كان الوضع القائم يمر بمرحلة انتقالية، من نظام إقطاعي إلى نظام يسبق نمط الإنتاج الرأسمالي، وكان للسياسة المتبعة من طرف النظام السابق سلبيات أساسية، تمثلت في النظام الإدارة المتعفن، وفي السياسة الزراعية المتبعة، التي أقحمت المحاصيل تجارية على حساب المحاصيل المعيشية بالقهر دون سابق تحضير، وعن عجزها عن توفير المناخ المناسب للحركة التجارية، وهكذا برزت التناقضات التي عجلت بانفجار الثورة المهدية[1]، فتميزت سياسة الضرائب بفرضها على الأهالي، مما اضطرت بالأهالي للهجرة إلى أطراف البلاد.

أواخر أيام الحكم المصري العثماني، ازداد سخط السودانيين، بسبب جباية الضرائب ففي عام 1879م، كتب رؤوف باشا إلى القاهرة يطلب تخفيض الضرائب التي أجبروا الأهالي عليها، فاستثقلوها وزادهم ثقلا أنها لم تكن موزعة بالقسط، بل كانت شديدة على الفقراء، خفيفة على الأغنياء، وفوق ذلك فقد أناطوا في تحصيل الضرائب بجماعة الباشبوزق الشايقية، والأكراد والمغاربة الذين جاؤوا إلى البلاد واستعملوا كل أنواع القسوة والعنف في تحصيلها، حتى أنهم كانوا ينزلون من يتأخر في دفعها وتأديتها أقسى العقوبات فينهلوا عليه بالسياط، ويهينوه حتى يدفع الفلس الأخير[2]، وشر من ذلك كله مما لم يكن له مثيل في غير السودان، بل إن هؤلاء المأمورين لم يكتفوا بالضرائب الرسمية بل فرضوا على الأهالي إتاوات غير رسمية يحصلونها مع الضرائب، وذلك أن أكثر الولاة الذين حكموا السودان كانوا يأتونه من مصر على غير إرادتهم، لبعد السودان عن بلادهم، وكثرة حره ومشاقته، فكانوا لا يهتمون في الغالب إلا بالانتفاع من وظائفهم، فيفرضون على المديرين أموالا باسم الهدايا، فيضطر المديرين إلى استرجاعها من مأموري المراكز الذين

(1) محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية مصادرها مظاهرها تطبيقها (1881 - 1898م)، ط01، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م، ص 31.

(2) هولت، المصدر السابق، ص 29.

تحت إدارتهم أو من الباشبوزق المولجين بجمع الضرائب، وهؤلاء يفرضونها على الأهالي أضعافا لأجل وفاء ما فرض عليهم، وحفظ شيء لأنفسهم، وكانوا يشددون على الأهالي في تحصيل هذا الفرض، تشديدهم على تحصيل الضرائب، وهم أمنون من القصاص للتواطيء المشار إليه مع الولاة والمديرين، وقد ساعد أيضا على تدهور الأحوال الاقتصادية في السودان احتكار تجارة العاج[1].

فالعاج هو من أهم مصادر الثورة في السودان، وقد وقع هذا الاحتكار في عهد غوردون أيام ولايته الأولى، فاستأثرت الحكومة أرباح طائلة كانت تعود على أصحابها من أهل التجارة والحرفة، فقاموا على الحكومة هذا وسخطوا عليها هؤلاء التجار، الذين كانوا سادت السودان الحقيقيين من خلال نفوذهم الواسع، كما اشتد نفور الأهالي من الحكام، وتمكن الحقد والوجد في قلوبهم، وصاروا يتمنون زوال هذه الحكومة، التي سلطت عليهم واستبدالها بأية حكومة كانت، ما يدل على ذلك هجرة الناس لأوطانهم كما مر ذكره، ومما جاء في قصيدة الشيخ محمد شريف الدايم في ذم المهدي بحرفه:

وما أبت السودان حكم حكومة * إلى أن أتى ضعف السطاليب من مصر

فكا لثلث والثلثين للمير وحده * ولشيخ والنظار أضعافه فادر

بضرب شديد ثم كتف مؤلم * ومن بعده الإلقاء في الشمس والحر

وأوتاد ذي الأوتادي من بعض فعلهم * وأشنع من ذا كله عمل الهر

أي أنهم كانوا يجعلون في سراويل الرجل هرا، ثم يشرعون في ضربه حتى يمزق الهر جسمه[2].

فكان هذا العمل المنطوي على الظلم، هو النواة الأولى لثورة المهدية، فضلا عن تطاول أولئك الظلمة على أعراض الناس، فيقبضون على كل امرأة حسناء عجز وليها عن أداء الضريبة، لهذه الأسباب إمتلاءت قلوب السودانيين بالضغينة[3]، وبات ولاءهم غير تدبير

(1): Wingate, **Mahdism and the Egyptian Soudan**, Being an account of the rise and progress of the subsequent events in the Sudan , London, 1891, P12.

(2) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 317. وأنظر أيضا عبده بدوي، الشعر في السودان، دار المعرفة، الكويت، 1981م، ص 35.

(3) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 468.

ثورة يتهيأ لهم بها الخلاص من هذا النير، فأغتنم محمد أحمد هذه الفرصة وأدعى انه المهدي المنتظر، فقويل بالتصديق والرضا من كل إنسان[1].

فالضرائب الباهظة التي كانت تفرض جورا على أهالي السودان، كانت دافعا قويا لاندلاع الثورة، حيث أوجد لها أنصار في مختلف الشرائح، فالتفوا حول زعيمها هروب من تلك الضرائب، التي لا قدرة لهم بها، وقد وحدت الثورة المهدية كل هذه الشرائح من أجل هدف واحد، وهو طرد الاحتلال.

وما زاد الطين بلت وطنبور نغمة، هو تشديد الحكومة في منع النخاسة والاسترقاق، فإن النخاسة مهنة قديمة في السودان، يتعاطاها الجم الغفير من أهلها بل من أعظم أهلها جاها ونفوذا، والاسترقاق وبيع الرقيق غير محرمين في الشريعة أهلها، فهم لا يرون فيها شرا يجب إبطاله، بل يرون الشر كله في إبطالهما وخصوصا أن خدمة عرب السودان، في البيت وخارج البيت، كلها منطوية بالرقيق ولم يكن للعرب إلا السيادة والتجارة، وقد تعودوا هذه الحالة السنين الطوال وارتاحوا إليها كل الارتياح، حتى لم يعد من الممكن منعهم عنها دفعة واحدة[2].

فمشكلة الرق ذات جذور عميقة في كيان المجتمع السوداني، والتي ساهم محمد علي باشا في رواج تجارتها، حيث ارتبط انتعاش اقتصاديات السوق بتجارة العبيد الأمر، الذي دمر اقتصاديات السودان، عندما أصرت إنجلترا على ضرورة القضاء على هذه التجارة في فترة محدودة، مما أدى إلى انتشار التذمر في جميع أنحاء السودان، فلقد عرف السودان تصدير الرقيق إلى مصر وبلاد العرب، قرونا قبل أن يدخل إسماعيل باشا بجيوشه إلى مملكة سنار فقد كان الرق ناحية اجتماعية انغرست جذورها في الماضي وألفها الناس زمانا، وكانت من الأسباب التي جعلت محمد علي يبسط نفوذه على الأقاليم الجنوبية، الحصول على عدد من العبيد يدخلون في سلك جنديته، هذا ما دفع الحكام لتدبير الغزوات لاستجلاب العدد الضخم الذي كان يصبوا إليه محمد علي [3].

---

(1): Dimitri Meeks, **Egypte le Nille Egyptien et soudanais de Delta A Khartoum,** Librairie Hachette, Paris, 1971, p 746.

(2) نعوم شقير، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 317.

(3) نفسه، ص 317.

فمنذ عهد عباس الأولى بدأ التجار الأوربيين، وسكان شرق البحر الأبيض المتوسط يتغلغلون جنوب على النيل الأبيض، هذا لغنى هذا الجزء فهو يحتوي على سن الفيل وريش النعام، ولكنهم وجدوا أن السلعة المجزية لا تزال هي الرقيق فنخرط في سلك هؤلاء التجار النهرية عدد من أبناء دنقلة، الذين هاجروا سواقيهم نتيجة الضرائب الباهظة، التي فرضت عليهم جورا وظلما، وامتد نفوذ الحكومة في النيل الأبيض، وأسست مديرية فاشودة لمنع هذه الشركات من ممارسة تجارة الرقيق، غير أن موظفي إسماعيل في تلك الجهات لم يرتفعوا إلى المستوى الإنساني[1] وقد اتخذ حكمدار السودان في الخرطوم الكثير من الإجراءات التي تمنع هذه التجارة، وتساعد في ضبط المهربين، ولاسيما في عهد السر صومانيل باكر وفي عهد الكولونيل غوردون، فإنهما مع اعتقادهما الشخصي بأن التشديد في منع الرقيق هو في غير محله، وقبل وقته اضطرا عملا بأوامر الحكومة، أن يبالغا في التشديد في منعه وتضيق على تجارة الرقيق، في جميع الأقطار السودانية [2].

فبعد وصول غوردون إلى الخرطوم في 05 ماي 1877م، أعد مشروعا يقوم على إحكام الرقابة على نشاط تجارة القوافل في الداخل، ومنعهم من حمل الرقيق إلى المؤنى البحر الأحمر، فقد كان يعتقد أن الزمن وحده كفيل بالقضاء على هذه التجارة، بدأ غوردون بنشاطه كحكمدار السودان بمطاردة تجار الرقيق، مطاردة عنيفة لا هوادة فيها، كان أثر هذه المطاردة أن انتشر العصيان، واشتعلت الثورة في كل مكان، وبدأت بذلك العمليات العسكرية لإخمادها، خاصة في دارفور(ثورة هارون)، وبحر الغزال (سليمان الزبير) وكردفان (صبايحي أحد قادة الزبير رحمت السابقين)، قام غوردون بعزل عدد كبير من الموظفين الأوربيين، فعين في شهر واحد (جويلية1878م) أربعة عشر أوربيا، فعملوا لغير مصلحة البلاد، وبالغوا في منع تجارة الرقيق، وصادروا التجار في أموالهم وأرزاقهم وضيقوا عليهم سبل الاتجار[3].

فغوردون نكلا بهم تنكيلا شديد، وفرقهم وعاقب البعض بالسجن، والبعض بضبط الأموال، وحرر غوردون كثيرا من الأرقاء من أيدي أسيادهم، ولاسيما بعد نشر المعاهدة

(1): Wingate, **Mahdism and the Egyptian Soudan**, Loudon, 1968, p 12.

(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 317.

(3) مكي شبيكة، المصدر السابق، ص 223.

التي عقدت بين إسماعيل باشا والدولة الانجليزية سنة 1877م، التي تنص على ضرورة إبطال هذه التجارة نهائيا، في مصر والسودان، ولما رأى الأرقاء حريتهم في أيديهم، صاروا يتركون أسيادهم لأقل سبب أو بلا سبب، وكان الأهالي يدفعون قسما من الضرائب عبيدا، فأصبحوا بعد إبطال النخاسة، لا يقدرون على أدائها فاستبدهم الجباة وساموهم خسفا وذلا على ذل، وعد السودانيين أن مداخلة غوردون وغيرهم من النصارى في منع تجارة الرقيق، بأنهم يتعرضون لهم فعظم لهذا الخطب وعمت الشكوى[1].

لقد كان لتجارة الرقيق في بحر الغزال ودارفور، أثر في تهدئة الأوضاع في السودان، ولكن هذا الهدوء كان ظاهريا فحسب، وهذا ما أكدته الأيام فقد اشتعلت الثورة، وكان أحد أسبابها منع تجارة الرقيق، مما أدى بالتجار إلى الانضمام إليها من أجل الثأر، فقد كان سكان السودان يرون في شخصية المهدي، الشخصية التي تنهض بالاقتصاد، وتضع الركائز والدعائم للنهوض به، خاصة بعد الاستنزاف الذي شاهده خلال فترة الحكم العثماني المصري.

د- الأسباب الاجتماعية:

لقد عبرت الأسباب الاجتماعية عن نفسها في الانتفاضات، والثورات المتواترة ضد النظام الحاكم، مترجمة السخط الشعبي المتزايد من الأوضاع، التي آل إليها بحيث أدخل نظام الحكم المصري العثماني بنية ثقافة جديدة للبلاد، بدون أخذ بظروف وتقاليد السودان بالاعتبار، والتي رسخت لقرون في فترة دولة الفونج سواء كانت مدنية أو دينية، والتي تم تصديرها للسودان من الخارج، وفي هذه البنية ظهر تفاوت اجتماعي واضح، فبرزت فئة العلماء والفقهاء، المرتبطة بجهاز الدولة على النمط، الذي كان سائدا في مصر والدولة العثمانية، حيث أصبحت لهم مرتبات وامتيازات خاصة، هذا إضافة إلى إدخال نظام القضاء الشرعي والأوقاف، وما زاد الأمور حدة، وحقد الأهالي على الحكومة سياسة الكيل بمكيالين، والتفاضل بين القبائل، حيث قربت إليها بعض القبائل مثل الشايقية ،الذين انظموا

(1) نعوم شقير، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 317 318.

في السلك الجندية وخاصة جباية الضرائب، في حين أثقلت بها على سائر الأهالي، مع أن الجميع من مقام واحد [1].

كما ظهرت طرق الصوفية جديدة وجدت الدعم والتشجيع من النظام، مثل الطريقة الختمية الميرغنية [2]، التي ذاع صيتها، على حساب الطرق الصوفية التقليدية، التي كانت سائدة أيام الفونج، حيث دخلت هذه الطرق الصوفية الجديدة، في تنافس وصراع مع الطرق القديمة ومشايخها، مما أربك وحدة صف المجتمع وأضعفها[3].

فحين نجد عدد من المؤرخين يحددون أربعة شروط لنجاح الثورة المهدية، والتي تتمثل في أولا استياء وسخط عام، لا يكون قاصرا على طبقة أو جماعة معينة، إنما يمتد إلى كل فئات المجتمع، ويكون مصدره إحساسا محدود بالظلم، ثانيا أن يطابق ذلك الوعي مع الإحساس بضعف النظام القائم، وعجزه عن سحق الثورة في مهدها ثالثا وجود جيش ثوري قوي، يقف على استعداد لتحقيق أهداف الثورة، رابعا وجود قيادة ثورية، بالإضافة إلى القمع، الذي أدى إلى اندلاع الثورة ،لأن أثره شمل معظم فئات المجتمع[4].

إن دور شخصية المهدي كقائد للثورة، شكل أحد أسباب احتجاج الأهالي ضد النظام بحيث كان يكفي أن يظهر على مسرح الحوادث محمد أحمد المهدي، حتى يجد السودانيون في شخصيته الزعامة الضرورية، والتي كان في وسعها أن تجتمع تحت لوائها كل العناصر المتذمرة، فالوعي الاجتماعي يعبر عنه دائما شخصيات تستحوذ على ثقة الجماهير فالظروف الموضوعية لا تتحرك بنفسها، وفكرة الظروف التاريخية لا تلغي دور الفرد مطلقا، فالتاريخ كله صنعه بالتأكيد نشاط شخصيات، الذين هم بلا شك قادة[5]، لكن الشخصية التاريخية لا تظهر عفوا وإنما بقوة الضرورة التاريخية، وعندما تصبح الظروف ملائمة لذلك الظهور، وهذه الشخصيات تستمد قوتها من قوة الحركة الاجتماعية، التي

---

(1) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان**، ص 634.

(2) الطريق الختمية المرغنية:هي إحدى الطرق الصوفية التي دخلت إلى السودان عن طريق محمد عثمان مريغني من الحجاز حوالي 1818م، وتعتبر الطريقة الختمية فرعا من الطريقة الخلوتية التي تعود لمؤسسها الشيخ محمد عبد الكريم السماني (1820-1875م)، انظر: عبد الرحمان كيري واني، **الإسلام في جنوب السودان وأثره في الماضي والحاضر والمستقبل**، ترجمة محجوب الدقل جيلي، مطبعة جامعة الخرطوم، السودان، 2008م، ص 62.

(3) محمد فواد شكري، **مصر والسودان**، المصدر السابق، ص 260.

(4) هولت، المصدر السابق، ص 36.

(5) محمد سعيد القدال ، **السياسة الاقتصادية**، المرجع السابق، ص 39.

تتصدى لقيادتها وعليه فإن الحديث عن الثورة بدون قائد لا يستقيم وواقع الحال، كما أن الحديث عن قائد بدون ظروف ناضجة لظهوره يحل حركة التاريخ إلى حظيرة خاصة خاضعة لذلك القائد وخاضعة لأهوائه، وهذا ما تحقق في الشخصية المهدي [1].

ويمكن القول بأن أسباب اندلاع الثورة المهدية، كانت من إقليم إلى إقليم، وأن تركيزها كان في كردفان، بعد نشوبها في النيل الأبيض، ولو لم يكن كذلك لكان مصيرها الفشل، لأن نشوب الثورة في كردفان قطع الطريق بين دارفور والحكومة المركزية في الخرطوم وأدى سقوط الأبيض وهزيمة هكس في شيكان إلى سقوط دارفور، وفي جنوب دارفور حمل لواء الثورة مادبو علي زعيم الرزيقات، بعد أن بايع المهدي في قدير، وأبلى بلاءا حسنا في واقعة الشلالي، وكان ناقما على السلطة في السودان، بسبب عزله من رئاسة الرزيقيات واستجاب قبائل البقار عموما والرزيقيات خصوصا لدعوة المهدي، بسبب الأضرار التي لحقتهما من منع تجارة الرقيق، وطمعا في التخلص من دفع الضرائب.

أما في شمال وشرق السودان، فقد تشبت الثورة لأسباب تختلف عن بقية جهات السودان الأخرى، ففي الشرق انضمت العديد من القبائل لعثمان دقنة، حبا في التخلص من دفع الضرائب، واستفاد عثمان دقنة من التنافس الطائفي في منطقة بين طريقتي الختمية والمجذوبية، كما أن بعض القبائل كانت تجني فوائد اقتصادية بسبب تعاملها مع السلطات الحاكمة في هذه المنطقة، أما في الشمال كانت القبائل الكبيرة كالجعليين والشايقية تنتمي إلى الطريقة الختمية، وقد تعاونت بعض من هذه القبائل مع الجيش المصري[2].

وإن ما يمكن قوله أن انطلاقة ثورة محمد أحمد المهدي كان لها محركين، الأول كان اجتماعي، والذي تلخص لنا في شخصية المهدي والمعتقد الديني والتدهور الخلقي، وعجز إداري، والضغط الأوروبي على العالم الإسلامي، وضعف الإيمان بالقرآن، ووضع القوانين الوضعية بدل القوانين المنزلة، وتقلص سلطة الخديوية وتضعضع مركزها، الذي أدى إلى ضعف الحكومة المركزية، ومباشرة الأجانب للحكم في السودان، أما المحرك الثاني فهو

(1) موسى مبارك الحسن، **تاريخ دارفور السياسي 1882 - 1898م**، قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم، الخرطوم ص 39.

(2) محمد محجوب مالك، **المقاومة الداخلية**، المرجع السابق، ص 39 40.

اقتصادي، وهذا الاتجاه يرى أن دراسة أسباب الثورة المهدية خارج إطار الواقع الاقتصادي لا يساعد على فهم المحرك الحقيقي لها، إذ انه يتحكم إلى حد كبير في مجرى الأحداث.

وعلى ذلك فإنه لم يأت عام 1881م، حتى كان التمرد يشمل أهل السودان جميعهم الأمر الذي انطوى على خطورة عظيمة، لأنه من المحتمل كثيرا، إذا قامت الثورة في هذه الظروف أن يثور على الحكومة أهل السودان بأسرهم، وليس تجار الرقيق فحسب[1].

ومجمل القول أن دعوة المهدي وجدت من المتدينين الباذلين الروح في سبيل الله دون طمع في مغنم دنيوي، ومن الساخطين من التجار و الزراع، الذين أثقلت كاهلهم الضرائب الفادحة، وسدت الحكومة في وجه بعضهم سبل الرزق بمنعها تجارة الرقيق، ومن القبائل التي افتقدت كينونتها السياسية، نتيجة مركزية الحكم فتطلعت للانعتاق، كما تاق بعضها خاصة قبائل البقار إلى الحرب مجددا، الذي يسري في دمائها حبا في الغنيمة والتسلط حيث وجدت الثورة في هذا الشتات من أسباب قوة وسندا اقيامها ونجاحها فيما بعد، كما يمكن القول أن الثورة المهدية جاءت من أجل القضاء على الحكم الأجنبي، فهي ثورة تحرر وطني استمدت برنامجها السياسي من التراث الإسلامي السوداني، الذي تبلور في فكرة المهدي المنتظر ووجدت تلك الفكرة قبولا سريعا لدى مختلف المناطق والقبائل في السودان فرأت فيها تعبيرا عن تطلعاتها الوطنية والاقتصادية، كما ساعدت شخصية المهدي في توصيل تلك الفكرة.

2)_ العوامل المساعدة في نجاح الثورة المهدية:

- استخفاف الحكومة بشأن محمد أحمد في بادئ الرأي، مع أن الأمر الذي قام به ذو بال وقد كان في كل العصور سببا لإراقة الدماء وخراب بلدان شتى.
- اندلاع ثورة محمد أحمد عرابي بمصر عام 1882م، والتي أدت إلى شل الحكومة الخديوية، فلم يتأت لها أن تتفرغ لأمر محمد أحمد، وتتجد السودان بالعساكر قبل انتهاء الثورة العرابية في مصر، في وقت سرى فيه لهيب الثورة المهدية سريان النار في الهشيم

(1) محمد محجوب مالك، المرجع السابق، ص 40.

ثم إن الحكومة نفسها كانت غارقة في مشاكلها وتعيش أزمتها الداخلية والدبلوماسية الدولية[1].

- ظهور شخصية أحمد العوام، وهو خطيب مصري جيء به منفيا إلى السودان وسجن بالخرطوم لاتهامه بتأيد الثورة العرابية، وقد انتهز العوام فرصة وجوده في وقت التهب فيه الحماس الوطني اثر انتصارات المتوالية السريعة، التي تحققت للثورة المهدية، فعمل على التخويل وانتقاد الحكومة التركية بعنف، لإيقادها سعير الحرب بين المسلمين في السودان يعني بذلك جند الحكومة والثوار المهديين، وذهب إلى الإفتاء بفساد الحرب طاعنا مشروعية السلطان العثماني نفسه، وكذلك الخديوي مصر لأنهم بدل أن يقوموا بالاتصال بالمهدي طلب الأيات والبراهين البينات على مهدويته عن طريق حوار مع العلماء والفقهاء، ذهبوا مباشرة إلى تجريد السلاح وإعلان الحرب عليه وبما أنه لا طاعة لسلطان جائر في معصية الخالق، فإن من مات في حرب كهذه هو عاص، مخالف لأمر الله ورسوله، وذلك لأن الحرب مجرد وسيلة للإبقاء ملك السلاطين والحكام الظالمين.

كان العوام صادقا وواضحا في موقفه من الحكومة، التي لم تستفت علماء الأزهر حول المهدوية، إلا بعد مباشرتها الحرب وهلاك معظم جيوشها، على أيدي الأنصار المهديين فكان أمرها كرجوع فرعون إلى الإيمان بعد هلاك جيشه وتحققه الغرق كما ظهرت مجموعة من العلماء والأعيان بإيعاز من الحاكم العام في السودان، ومن السودانيين لتزيف الرسائل ووضع الفتاوى في تكذيب وتسفيه أراء المهدي، في وقت كان فيه الأخير يزحف منتشرا في أرض السودان، مزيحا جند الحكومة أفئدة الناس باسم سلطان الله في أرضه، وبأمر نبيه وشهادة أوليائه[2].

وقد صدق حدس العوام حين انهزمت حكومة الخديوي بمصر، بسبب الثورة العرابية عندما تدخل الانجليز فقضوا عليها، وأسروا أحمد عرابي فتنازل لهم الخديوي عن بلاد السودان، ولكن بالمقابل تعززت الحملة الدينية الوطنية وانخرط الناس وتوحدوا في سبيل المهدي، الذي اندفع باسم الجهاد والحرب المقدسة، وعند اقتراب زحف المهدي من عاصمة

(1) نعوم شقير، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 319.

(2) مجهول، نصيحة أحمد العوام (والعلاقة بين العرابية والمهدية)، تحقيق ودراسة محمد رشيد حسن، الدار السودانية، الخرطوم بيروت، ص 5 - 10.

الخرطوم، وجه الحاكم الانجليزي بالسودان تهمة الخيانة والتحريض لأحمد العوام، وحكم عليه بالإعدام في جانفي 1885م، وقد نفد الحكم قبل أيام من فتح المهدي للخرطوم، بل قبل أيام من لقاء لم ينكبت بين الرجلين لأن أحمد العوام توقف عن الحكم معلق الأمر في حقيقة المهدي، إلى حين اللقاء ولكن بقيت غيرته وتأيده كمعلم وعامل هام في مسار الثورة الوطنية.

_ ضعف الحاميات العسكرية، فإنه حين ظهور الثورة سنة 1881م لم يكن في السودان كله مع اتساعه ووعورة مسالكه إلا 40490 رجلا، كما أن هذه الحاميات كانت بعيد عن بعضها البعض، ولما حصنت أثناء الثورة كان في كل حصن غلطة دفاعية، أي أنه لم تكن حاميتها كلها من العساكر المنظمة، بل كان بينهم كثير الباشبوزق، وكلهم غير متمرنين على الحرب والقتال، وقد تعودوا الترف والراحة في حين أن أهل السودان مطبوعون على الفروسية والشجاعة، ومتعودون على الحرب وقد صدقوا المهدي وأحبوا الموت معه في سبيل الله.

_ تردد الحكومة، فإن الحكومة لم تتخذ سياسية ثابتة نافذة، في إخماد الثورة، بل أظهرت أحيانا التردد والارتباك، في مكان الحزم والعزم، فقدت جميع حامياتها وعادت إلى حدودها بمصر [1].

(1) نعوم شقير، تاريخ السودان ، المصدر السابق، ص 319 320.

الفصل الثالث

مراحل وتطورات الثورة المهدية في السودان.

1. مرحلة الدفاع والتمكين 1881 - 1883م.

أ.-معركة أبا أوت 1881م.

ب.-وقائع الثورة في جبل قدير.

ج.-وقائع الثورة في جزيرة سنار.

د.-وقائع الثورة في كردفان.

2. مرحلة الهجوم وبداية الحكم المحلي(نهاية الحكم المصرى 1883 -1885م).

أ.-حملة هكس وواقعة شيكان.

ب.-مهمة غوردون وسياسة إخلاء السودان.

ج.-حصار الخرطوم.

د.-سقوط الخرطوم ونهاية غوردون.

هـ.-السودان تحت حكم المهدي.

3. وفاة المهدي وتولي خليفته عبد الله التعايشي.

لقد عرفت ثورة محمد أحمد المهدي، منذ بداية دعوته في أوت 1881م، حتى سقوط الخرطوم في 1886م، تطور في الأحداث، والتي كانت تعتبر سببا في نجاحها.

ومراحل الثورة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين، مرحلة الدفاع عن مبادئ الثورة وتحقيق انتصارات على الحكومة، رغم قلة أنصارها وعتادها، ومرحلة ثانية هي مرحلة الهجوم وإلحاق الهزائم بالعدو وتحقيق الانتصارات، ونهاية الحكم المصري، وبداية الحكم المحلي.

1- مرحلة الدفاع والتمكين للحركة 1881 -1883م:

أصبح رؤوف باشا في بداية 1880م، حكمدار على السودان خلفا لغوردون الذي كان يشغل وظيفة الحاكم العام في السودان منذ عام 1877م، فكان من واجب رؤوف باشا أن يواجه النار، التي أشعلها غوردون قبل مغادرته البلاد بوسائله العنيفة، التي اتبعها بهدف وضع حد لتجارة الرقيق، وهذا ما يدل على الأثر الذي خلفته سياسة غوردون في إثارة روح العداء تجاه الحكومة، والتي ساهمت في تسهيل مهمة المهدي في جمع الأتباع حوله للانتقام للأوضاع، التي كانت سائد في السودان، بفضل الرسائل والمنشورات، التي بعث بها إلى الأعيان ورجال الدين ومشايخ الطرق الصوفية، التي أعلن فيها مهديته [1].

ومن بين تلك الرسائل رسالته إلى محمد رؤوف باشا الحاكم العام، التي قال فيها: (من عبد ربه محمد المهدي إلى الحكمدار بالخرطوم، وبعد فالأمر المطلوب كشفه أن دعائي الخلق إلى السنة، والهجرة بالدين أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فمن تبع صار من المقربين، ومن أتانا بالعداوة يأخذه الله، إما بالخسف أو بالغرق، وفيما ذكرته يكتفي به أهل العناية)[2]

فجمع رؤوف باشا العلماء وأطلعهم على كتاب محمد أحمد، فالتمس بعضهم له عذرا بأنه قد حصل له جذب سماوي، من انعكافه على الزهد والعبادة، ولكنهم أجمعوا على ضرورة القبض عليه قبل اتساع الخرق[3].

فندب رؤوف باشا لهذا الأمر، أحد معاونيه محمد بك آبا السعود العقاد، أحد تجار الرقيق سابق يدعوه إلى الوقوف على حقيقة المهدي، وضرورة الحضور إلى الخرطوم وحين

(1) عبد الرحمان الرافعي، **عصر إسماعيل**، ج07، ط04، دار المعارف ، مصر، 1987م، ص 116 117.

(2) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 485.

(3) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 336.

ذهب، وجده جالسا مع تلاميذه فسلم عليه وقال له:((إن الحكمدار بلغه أمر الدعوة التي قمت بها، وأرسلني لأتي بك إليه، وهو ولي الأمر الذي تجب طاعته على جميع الأمة))، فأجابه محمد أحمد ((أما ما طلبته من الوصول معك الخرطوم، فهذا مما لا سبيل إليه، وأنا ولي الأمر، الذي تجب طاعته على جميع الأمة المحمدية))[1]، وهذا ما بين لنا رفض المهدي الصريح لدعوة العقاد، فعاد العقاد إلى الخرطوم خائبا، وبلغ رؤوف باشا بما رأى، وبما سمع وهون عليه أمر المهدي، وسهولة القضاء عليه، ومن جهة أخرى تصميم المهدي على نشر دعوته وتأيدها، واستعداده لمواجهة الحكومة بكل ما يملك من إمكانيات، ومن ثم بدأت وقائع الثورة بين الطرفين[2]

أ ـ معركة أبا 12 أوت 1881م:

جهز رؤوف باشا فصلتين، وجعل على كل فصيلة، صاغا ومدفعا وأرسلهم، مع أبا السعود على الباخرة، للقبض على محمد أحمد وأنصاره، ولكن هذا الأخير كان متيقظا فأعد رجاله وأنصاره للقتال، فقد جمعهم وقال لهم: << يا أيها الناس إن الترك رجعوا لطلب المدد وسيعودون إلى حربنا، فمن كان منكم خائفا على أولاده وأمواله، فليخرج منا فنحن سامحون له وبيعتنا في أعناقكم ليس عليكم فيها حرج....>> فقالوا جميعا بلسان واحد << يا سيدي نحن نابيعناك على الموت ورضينا بذلك، لا نرغب بنفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت، فمر بما تشاء فنحن لك سامعون ولأمرك مطيعون، يا خليفة رسول الله.>> فدعا لهم [3].

ثم أرسل إلى القبائل التي حول الجزيرة يستنفرها للجهاد، فأجتمع عنده 350 رجلا فيهم تلاميذه [4]، ولما كانت ليلة الجمعة الواقعة في 16 رمضان سنة 1298هـ 12 أوت سنة 1881م، بلغ محمد أحمد أن العساكر، حضرت بالباخرة للقبض عليه، فأمر رجاله بالاستعداد للحرب، وأن يكون على كل عشرة منهم مقدم، وفي فجر يوم الجمعة المذكور وصلت الباخرة بالعساكر، فرست تجاه الحلة وخرج العساكر منها، وساروا نحو الحلة

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 485.

(2) الطيب عبد الرحمان محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان، ط01، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م، ص 84 85.

(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص337.

(4) هولت، المصدر السابق، ص 64.

ب ـ وقائع الثورة في جبل قدير:

ـ الهجرة إلى جبل قدير:

بعد معركة أبا هاجر المهدي إلى قدير بكردفان، ليبتعد عن السلطة ويحتمي بأتباعه في مكان أمن، ومن هناك امتدت دعوته إلى بحر الغزال بين أكبر القبائل الجنوبية، قبيلة "الدينكا" وإلى جنوب كردفان، وكانت الهجرة لقدير للاحتماء بجبل " ماسا " وقد روى المهدي أن حركته إليه، إنما كانت هجرة أمره بها في رؤية رسول صلى الله عليه وسلم[1] وكانت هذه حركة بارعة، أتاحت للمهدية فرصة ذهبية للازدهار للأسباب التالية:

_ هذه المنطقة في أقصى الغرب بعيدة عن مركز الحكومة ونفوذها، كما أنها منطقة جبلية يسهل التحصين فيها، والإيقاع بالقوات المهاجمة له.

_ هي منطقة عهدها بالحكم المصري قريب، فلم يستقر الحكم فيها بعد، ولم يوطد علاقته مع الأهالي[2].

وفي قدير تتابع أتباعه وافدين إليه يبايعونه، وينتظمون في سلك دعوته، مستعدين لمواجهة ما توقعون من تجريدات عسكرية لم تنقطع، ولم تفلح أي منها في مواجهته، مما زاده مكانة، ومنعة، وقوة، ولقد انشغلت الحكومة التركية المصرية بثورة عرابي، وكان في ذلك مجال نظم فيه المهدي جيوشه على قيادات ثلاث " الراية الزرقاء " تحت قيادة "عبد الله التعايشي" خليفته من بعده، وقوتها من رجال غرب السودان " الراية الخضراء" وعلى رأسها "علي الحلو" وتمثل رجال الجزيرة، ثم " الراية الحمراء " وقائدها " محمد شريف " وتمثل مجموعات النيل، وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم وتقليدا له، سمى نفسه خليفة رسول الله، وسمى أصحاب الرايات بالخلفاء، كالخلفاء الراشدين وساقت الحكومة المصرية جيشا اقتاليه بقيادة "جيجلر" باشا البافاري، فهاجمه نحو خمسين ألف سوداني، وهاجموه بالسيوف والعصي، ومما كان له أثر فعال في زيادة الأتباع، واستولى المهدي على مدينة الأبيض عام 1300هـ[3]

(1) محمد ابن إسماعيل المقدم، المهدي، المصدر السابق، ص487 488.

(2) James Darmesteter, Le Mahdi Depuis Les origines jusqu a nos jours, Elibron, cLassics, Paris, France,2005,p 76.

(3) محمد ابن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 488.

- واقعة المختار 24 أكتوبر 1881م:

وصل محمد أحمد السير إلى جبل قدير، وهو يدعو الناس من عرب وعجم، إلى طاعته حتى وصل إلى الجرادة، وهو جبل حصين يسكنه أخلاط من العرب والنوبة السود، وعليه رجل يسمى المختار، فتصدى للمهدي وحاربه فتغلب المهدي عليه وقتله، وعرفت " بواقعة المختار " [1]، وهذا بعد أن أقدم المهدي على خطوة لإضعاف قوة المختار، وهي مبايعة أخ المختار البدوي، قائدا على قومه فضعفت بذلك قوة المختار، وانقسمت إلى اثنين انتهت المعركة بمقتل المختار و13 رجلا من قومه، أما البقية فأعطاهم المهدي الأمان ورد لهم ما غنم من مالهم [2]، ثم سار المهدي حتى وصل جبل قدير يوم الاثنين 31 أكتوبر 1881م وكان على ذلك الجبل ملك يسمى ناصرا، فقابله بالبشر والسرور وأنزله على الرحب والسعة، وأمر محمد أصحابه فبنو مسجدا للصلاة ومنازل للسكني [3].

- معركة راشد أيمن بك 9 ديسمبر 1881م:

كان راشد بك مدير مديرية فاشودة، التي تتبع جزيرة أبا مهد الثورة، وكان راشد من " شجعان الترك وصناديدهم" وله طموحات شخصية كبيرة، فما أن سمع بوصول المهدي إلى نواحي قدير، وأنه في ضيق شديد، وأن الحمى فتكت بأصحابه، حتى قرر أن يفاجئه في مكانه، ويقضي عليه ويحقق ضرر شخصيا كبير، يدفعه إلى الصعود إلى أعلى درجات الحكم، فقام صوب المهدي مخالفا أوامر الحكمدار، الذي كان ضد مهاجمة المهدي في ذلك الوقت وكانت خطته، تعتمد على السرية وكتمان حركته والإسراع في المسير ليحقق أقصى درجات المباغتة.

وتختلف كتب التاريخ في عدد أفراد الحملة، التي صاحبت راشد، فنعوم شقير يقول أن عددهم 400 ألف جندي نظامي، وألف من الشلك يقودهم ملكهم كايكون، وأصحاب المهدي 800 رجل، ومن جانب الأخرى نجد كتاب " جهاد في سبيل الله " يقدر جيش المهدي

---

(1) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص340.

(2) مكي شبيكة، **السودان في القرن**، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1996م، ص 147 148.

(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 340.

بحوالي 1800، ويصاحبهم 800 مقاتل من الشلك، بينما يقدر جيش المهدي بين 700-800 رجل[1].

تحرك راشد من فاشودة في سرية تامة، ولكن امرأة من قبيلة كنانة تدعى رابحة رأت الحملة، فسارت بأرجلها النهار كله وثلثي الليل، حتى أتت المهدي في الثلث الأخير من ليلة الخميس 08 ديسمبر 1881م، وأخبرته بمسيره إليه.

فجمع محمد أحمد أصحابه، وخرج بهم إلى غابة بالقرب من جبل قدير، وهو الجبل الوحيد الذي يمكن أن يخرج منه راشد، وهناك صفهم راية راية ووقف بينهم خطيبا فحرضهم على الجهاد، ورغبهم فيما أعده الله للمجاهدين، وفي يوم الجمعة 09 ديسمبر 1881م، عند طلوع الشمس أمر أصحابه فحملوا على راشد ورجاله، حملة رجل واحد وفتكوا بهم وبقائدهم ،ولم ينجوا منهم إلا القليل، وأسرى منهم 111 رجلا[2]، وغنم محمد أحمد جميع أسلحة الحملة وذخائرهم، وهي أول الوقائع الكبيرة، التي سكنت للمهدي في البلاد [3].

- معركة الشلالي 29 ماي 1882م:

كانت الحكومة في مصر مشغولة بالثورة العرابية، ولم يسعها إمداد السودان بالعساكر فرأت أن تبعث إليه بوالي مدبر حازم، يتمكن من إطفاء الثورة بما لديه من العساكر فعزلت رؤوف باشا، فغادر الخرطوم في أوائل مارس 1882م، وعينت مكانه المدرب والسياسي المحنك عبد القادر حلمي باشا، وهونت له من أمر المهدي، وكان ذلك في ربيع الثاني 1299هـ أوائل مارس 1882م، ولكن الضرورة أدت إلى تأخره فبقي بمصر إلى أوائل ماي من تلك السنة[4].

وفي هذه الفترة قام بالنيابة عنه جيكلر باشا النمساوي، رئيس مصلحة التلغراف السودانية فجرد حملة بقيادة يوسف باشا الشلالي، بعد أن أذنت له الحكومة في تجهيز حملته هذه

(1) محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي**، المرجع السابق، ص 111 112.

(2) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 341.

(3) سلاطين باشا، **السيف والنار في السودان**، دار عالم الكتب، أم درمان، السودان، 1930م، ص 195.

(4) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 442.

للقضاء على المهدي قبل استفحال أمره [1]، فجهز جيشا قومه 04 ألاف جندي غادرت هذه القوة في مارس 1882م.

اقتربت هذه القوة من معقل المهدي في جبل قدير، والتي كان المهدي على علم بها فانقض عليها بجموع حاشدة من أنصاره، بلغت نحو 15000 مقاتل، وكان ذلك في يوم 29 مارس 1882م [2]، بعد صلاة الجمعة حيث خرج محمد أحمد المهدي من منزله شاهر سيفه، مكبرا وداعيا أصحاب الرايات فجعلهم أربع فرق[3]، وفي فجر ذلك اليوم 30 ماي 1882م، وعقب صلاة الصبح بدأ الهجوم على زريبة الشلالي، فبدأت راية محمد بن عبد الله بالهجوم وهجمت من الجهة، التي يحميها طه أبو صدر و محمد سليمان قادة الشلالي نفسه واقتحموها، لكن هذا الهجوم أصيب بنكسة مؤقتة، حيث استطاع عبد الله دفع الله أن يصد الهجوم، وعندما بلغ الأمر إلى مسامع المهدي، أمر راية الأمير محمود عبد القادر التي كانت تحرس المعسكر بالزحف، وبذلك توحدت الرايات [4] ففتكوا بهم فتكا ذريعا قتل فيها يوسف الشلالي، وغنم المهدي في هذه الواقعة أسلحة الجيش الثقيلة وذخائره [5]، وفقد المهدي في هذه الواقعة أخوه حامد وحوالي 200 رجل[6].

وأمام هذا الانتصار المتتابع، الذي ناله محمد أحمد على عساكر الحكومة، أدهش عالم السودان كافة، وحط من كرامة الحكومة في أعينهم بقدر مارفع من كرامة محمد أحمد خاصة كردفان ، كما أكسب له دعاية كبيرة في البلاد، فبلغ عدد أنصاره حوالي 20 ألف فضلا عن الذين أتوا وبايعوه، وعادوا إلى نصرته في بلادهم، فما كان على الحكمدار الجديد إلا مواجهة هذه الثورات، التي نشبت في مختلف أنحاء السودان، ومنها الثورة في جزيرة سنار.

(1) محجوب مالك، المرجع السابق، ص 61.
(2) تشرشل، المصدر السابق، ص 44.
(3) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 665.
(4) محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي**، المرجع السابق، ص 118.
(2) مكي شبيكة، **السودان في قرن**، المصدر السابق، ص 57.
(6) تشرشل، المصدر السابق، ص44.

وهزموهم شر هزيمة، فخرجوا من الخندق في أثرهم يقتلوهم، حتى أخرجوهم من أكناف بارة، وقتلوا منهم 500 رجل، عند ذلك بعث المهدي بأحد عمائه عبد الله النور لتولى قيادتهم، لكن المدد الذي لحق سعيد باشا أصاب هذه الحملة بالفشل، وبذلك دخل السعيد باشا عاصمة كرد فان في أواسط جوان 1882م[1].

- سقوط الطيارة 06 أوت 1882م:

كان في جملة الذين عاهدوا المهدي على الجهاد في كردفان، المنة إسماعيل شيخ قبيلة الجوامع ، فحشد نحو 20 ألف من عربانه وهاجموا حامية الطيارة[2]، التي كانت متخندقة جيدا، لكن لا يوجد بها سوى 1350 رجلا من العساكر، وعليهم قائد اليوزباشي محمد الشافعي، فاستطاعوا أن يصدوا هجوم المنة مرتين وطلبوا المدد من سعيد باشا، فوجه إليهم خليل أغا السنجق ومعه 600 من العساكر والباشبوزق ومدفع واحد، ولكن قبل وصول المدد إلى الحامية هاجمها المنة إسماعيل ثالث مرة مستقتلا، فأخذها عنوة وأعمل في أهلها السيف، فلم ينج نفر منهم، وكانت نتائج هذه انفتح الطريق إلى الأبيض، فبسقوط مدينة الطيار قطع طريق الاتصال الأخير بين الأبيض والخرطوم، فأصبحت مدينة الأبيض معزولة عن طريق الإمداد، مما سهل حصارها وسقوطها في أيدي المهدي[3].

- حصار الأبيض وسقوطها جانفي 1883م:

كان ذلك في 08 سبتمبر 1882م، حيث هاجم المهدي الأبيض بجيش قوامه 50000 مقاتل من أتباعه، واشتبك مع الجيش المصري المؤلف من 6000 مقاتل، بقيادة اللواء محمد سعيد باشا حكمدار غربي السودان، وانتهت المعركة بهزيمة المهدي بعد أن فتكت نيران المدفعية والبنادق بجنوده، وقتل منهم عدة آلاف مكان من بين القتلى أخوا المهدي وأخ عبد التعايشي، بإضافة إلى قاضي المهدية أحمد جبارة، ولكن المهدي عاود المحاولة مرة أخرى وحاصر بارا أحد المواقع الهامة في كردفان، حيث سقطت في يده في05 جانفي 1883م، ثم حاصر الأبيض وسد عليها المسالك والمنافذ، إلى أن استسلمت له

(1) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 366.

(2) الطيارة: (هي مدينة تجارية تقع على مسافة 100 ميل جنوب الأبيض تسكنها قبائل جوامع و البقارة) أنظر: إبراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، ج1، ص 103.

(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 367.

ودخلها يوم 19 جانفي 1883م، وغنم منها مخازن الأسلحة، فكان مجموع ما غنم في معاركه 6400 بندقية و13 مدفعا، ومقادير كبيرة من الذخيرة [1].

وكان لهذا الانتصار أثر كبير في تغير الأوضاع داخل البلاد، فلم تكن هزيمة المهدي السابقة إلا مجرد كبوة سرعان ما تحولت إلى انتصار كاسح، كان من نتائجها سيطرة المهدي على كردفان، وتحولت الأبيض إلى عاصمة للدولة، التي ولدت حديثا، وكان على المهدي أن يتصدى لمهمة الحكم، وأن يضع أساسا لهذه الدولة، وبعد الاستيلاء على كردفان انفتح الطريق أمام المهدي إلى الشمال إلى الخرطوم عاصمة الحكم الأجنبي، ولم تعد تنقصه القوة والخبرة القتالية والقوة العسكرية، كما يمكننا أن نعتبر احتلال كردفان بداية نهاية الحكم التركي المصري في دارفور وبحر الغزال، وكذلك سقوط الأبيض زاد ضرام الثورة الشعبية اندلاعا، فأخذت تتقاطر وفود المؤيدين مبايعة، بعد أن شهدوا رايات المهدي تسير نحو النصر [2].

2_مرحلة الهجوم وبداية الحكم المحلي(نهاية الحكم المصري 1883-1885م):

لقد انتقلت حركة المهدي من مرحلة الدفاع عن النفس وانتظار العدو لصده، إلى مرحلة الهجوم وتشتيت شمل القوات الحكومية، وهذا منذ سقوط مدينة الأبيض، التي اتخذها المهدي مقر قيادته ونقطة انطلاق لبسط نفوذه بين أرجاء السودان، وهذا استنادا إلى الانتصارات التي حققها في معاركه السابقة، والتي دفعت بالقبائل للالتفاف حول دولته كما أن الحرب لم تنتهي في تلك الفترة، بل استمرت بين قوات الحكومة والمهدي وخاصة في أرض جزيرة، التي هاجر منها المهدي إلى جبل قدير، فأعتزم الحكمدار عبد القادر حلمي باشا أن يقود الثورة بنفسه، فخرج من الخرطوم في جانفي 1883م، ومعه قوة من الجند والتقى بالثوار في غابة بالقرب من« معتوق » فأوقع بهم وتمكن منهم[3]، وعلى اثر هذا الانتصار الذي حققه سار بجيشه شمال سنار، ووقعت معركة كبيرة مع الدراويش، دامت أكثر من ثلاث ساعات قتل فيها من الدراويش نحو1000 رجل، وأصيب عبد القادر باشا

(1) عبد الرحمان الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من سنة1882 إلى سنة 1892م ط03، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م، ص 120 121.

(2) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 125.

(3) الرافعي عبد الرحمان، عصر إسماعيل باشا، ج01، ط04،دار المعارف، مصر،1987م، ص 123.

إصابة طفيفة، وانتهت المعركة بتشتيت شمل الدراويش، ودخل عبد القادر باشا سنار واستولى عليها ، وضيق المهدي المسالك عندما شعر بخطره [1].

أ_ حملة هكس وواقعة شيكان:

كان الوضع في مصر في ربيع عام 1883م غريبا، فإن الحكومة في هذا العهد قد أخمدت الثورة العرابية، واحتل الانكليز مصر في 14 سبتمبر 1883م، فصارت باحتلالهم مستندة إلى قوتهم مقيدة برأيهم و مشورتهم[2]، فلما استقامت الأحوال في مصر وعاد إليها النظام التفتت بكليتها إلى السودان[3]، وكان عبد القادر باشا إذ ذاك يلح في إرسال المدد قبل فوات الفرصة، فأقرت الحكومة على إلغاء جيش عرابي وإرساله مددا إلى السودان وفي الوقت نفسه أقرت على سحق المهدي في كردفان، فصدر الأمر العالي بإلغاء الجيش في 20 ديسمبر 1882م.

وإنشاء بدله جيش جديد من فلاحي مصر مؤلفا من6000 رجل، جعل عليه السرافلن ود من خيار الإنكليز وسردارا ومعه جماعة من ضباط الإنكليز قواد للاورط، وأركان حرب الجيش[4].

ثم سقطت الأبيض وكانت الوشاية على عبد القادر باشا، فاستدعته الخديوية إلى مصر بالرغم من الانتصارات، التي حققها في صفوف المهدي، وأرسلت مكانه علاء الدين باشا وليا على السودان، فوصل الخرطوم في 20 فبراير 1883م، ولكنها حصرت سلطته في الإدارة الملكية، وجعلت العسكرية سليمان نيازي باشا، ويليام هكس رقيبا لأركان حربه وهذا الأخير من الضباط الإنكليز التابغين، وقد انظم في الجيش الهندي سنة 1849م، وشهد

(1) الرافعي ، المصدر السابق، ص124.

(2) ناصر الأنصاري، **مجمل في تاريخ مصر النظم السياسية و الإدارية**، ط01، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1993م ص 248.

(3) يحي جلال، **الثورة المهدية و أصول السياسة البريطانية في السودان**، ط01، مكتبة النهضة، مصر، 1959م ص 84.

(4) نعوم شقير ، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 390.

عدة معارك في الهند والحبشة، وتقاعد برتبة كولونيل وفي 1882م قدم إلى مصر ثم استدعي بعدها للعمل في السودان[1].

وأول عمل قام به بعد وصوله إلى الخرطوم في 08 مارس 1883م تجريده لحملة عرفت بموقعة المرابيع في 29 أفريل 1883م، وكانت أول مواجهة للثوار مع هذا الجيش وكانت النتيجة هزيمة أنصار المهدي، بحيث قتل 12 من كبار مساعدي المهدي بما فيهم أحمد المكاشف[2]، وجرح عامر المكاشف جرحا بالغا، وأما جيش هكس فد قتل منه رجلان وجرح 20، وتقدم هكس بجيشه إلى الجبلين فوجد ديم الدراويش خاليا فعاد إلى الدويم فترك جيشه فيها، وتقدم إلى الخرطوم ليعد نفسه للحملة على المهدي في كردفان[3].

فسار هكس من الخرطوم إلى الأبيض عاصمة كردفان بجيش تعداده 13000 مقاتل في 08 سبتمبر 1883م، وقيل أنه حدثت خلافات كثيرة بينه وبين علاء باشا حول مسلك الحملة تجاه الأبيض، هل تتقدم مباشرة من الدويم إلى بارا عن طريق الشمال، ومنها إلى الأبيض أم تتخذ طريق الجنوب، وهل يقسم الطريق إلى مراحل تترك بها حامية صغيرة تتكفل بوصول المياه والمؤن للجيش، أم يتحرك الجيش كوحدة معتمدة على آبار التي قيل أنها متوفرة في الطريق، وانتهى الخلاف فقال هكس طريق الشمال لأنها أقصر، أما علاء الدين فاستقر رأيه على الطريق الثاني لوفرة المياه، وبعد التشاور استقر الرأي عند فكرة علاء الدين باشا[4]،

سارت الحملة من الدويم في 24 سبتمبر 1883م، فمرت بشات وتركت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل، ثم تقدمت وقبل الوصول وقع خلاف أخر شديد بين هكس وعلاء الذين في شأن خط الاتصال، فهكس أراد أن يجعل في كل منها حامية عسكرية مؤلفة من 200 رجل لحفظ الاتصال على النيل، لكن علاء الذين رفض تركها في العراء دون حماية، واستقر الرأي على أن يسير الجيش على أنه جسد واحد متأهب للقتال

(1) شوقي الجمل و عبد الرزاق، **تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم**، معهد الدراسات الإفريقية، مصر، 1996م ص 73.

(2) الرافعي، **عصر إسماعيل**، ج01، المصدر السابق، ص 128.

(3) وقد اختار الدويم النقطة الأساسية لهذه الحملة لأنها ميناء، حصن على النيل الأبيض و بها شونة قديمة ومنها تتفرع الطرق إلى كردفان : أنظر نعوم شقير ، المصر السابق، ص 392.

(4) تشرشل، المصدر السابق، ص 46.

في شكل مربع[1]، فقطع 200 ميل حتى بلغ يوم 05 نوفمبر 1883م واديا تحيط به غابة كثيفة تسمى غابة شيكان، وقد أصاب جيشه العطش الشديد، فلم يكد الجيش يدخل هذا الوادي حتى أطبقت عليه جموع الثوار، من كل جانب بعد تربص لهم طوال الطريق واخترقوا صفوفه، و أمنعوا في الجنود ذبحا وقتلا، فكان واقعه أشبه بمجزرة بشرية قتل فيها الجيش برمته قادته وضباطه وجنوده، ومنهم هكس وأركان حربه، ولم ينج من القتل سوى ملازمين اثنتين و300 جندي، اجتبوا بين الأشجار وادخلوا أسرى [2]، أما خسائر المهدي في هذه المعركة لم تكن كثيرة إذ خسر أكثر من 500 فرد، منهم أبوا أمية والطاهر من أبرز القادة، ومن أقاربه ضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب، وبعد 07 أيام دخل المهدي الأبيض في موكب النصر تحت نيران المدفعية التي غنمها[3].

بالقضاء على حملة هكس لم تعد هناك قوة تستطيع القضاء على قوة المهدي، مما زاد هيبة المهدي في نفوس الأهالي والحكام، وتداعت الحكومة لهذه الكارثة، فقد غنم المهدي كميات كبيرة من السلاح و الذخيرة، حولت الجيش إلى جيش نظامي حديث، وأخذت القبائل تتدفق نحو الأبيض بعد هذا الانتصار، واستسلام الحكام الأجانب الذين كانوا يتولون حكم المديريات للمهدي واحد تلوى الأخرى، وأصبح غرب السودان خاضعا للمهدي.

كما أرسل المهدي قوة بقيادة محمد خالد زقل، لضم دارفور وفي ديسمبر 1883م سلم سلاطين باشا هذا الإقليم، ثم سقطت الفاشر عاصمة المديرية، وأصبحت دارفور كلها تحت إمرة المهدي في جانفي 1884م، وأرسل كرم الله كركاساوي لضم بحر الغزال، وتم الاستيلاء عليه في أفريل1884م، وكان ذلك بعد استسلام فرانك لبتون، أما أمين باشا في مديرية خط الاستواء فقد تراجع للجنوب، وكان هذا الاستسلام نتيجة الرسل والكتب التي كان المهدي يبعث بها إلى ربوع السودان، لإذاعة النصر الذي ناله في شيكان، ولم يقتصر على ذلك بل أرسل السرايا إلى جهات كدارفور والغزال وبربر ودنقلة وغيرها، لإخضاع الحميات المصرية فيها واحتلال البلاد بسمه، وأرسل كبار المشايخ في جزيرة سنار، وأخذ

(1) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 494.

(2) Abed el Fattah Ibrahim El –Sayed Baddour, **Sudanese Egyptian relations**, The Hague Martinus Nighoff, Netherlands, 19600, p73.

(3) صلاح محي الدين، **وقفات في تاريخ السودان**، ط03، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1995م، ص 120.

يستعد للزحف بنفسه عليها[1]، وفي ذلك الوقت حدث تغير في السياسة البريطانية تجاه المسألة السودانية، فلقد شعرت بعد معركة شيكان أن مصالح الإمبراطورية تقتضي انسحاب مصر، وأوفدت الجنرال غوردون لذلك.

ب_ مهمة غوردون وسياسة إخلاء السودان:

لما بلغت الحكومة البريطانية خبر هلاك هكس في شيكان، أشارت على الحكومة المصرية بإخلاء السودان، وسحب حاميتها وموظفيها وترحيلهم إلى مصر، وإعادة السلطة في أنحاء السودان المختلفة لعائلات الحكام السابقين، لما عرض هذا القرار على النظار برئاسة شريف باشا لتصديقه، قدموا استعفائهم من الوزارة، فشكل الجناب العالي مجلسا أخر، برئاسة نوبار باشا في جانفي 1884م، وعرض عليه القرار فصدقه، وندب لهذه المهمة عبد القادر باشا، فاعتذر قيل لأنه كان متيقنا الفشل بغير جند، فندب لهذه المهمة غوردون باشا[2]، وعلى إثري هذا أصدرت الحكومة البريطانية توصية في 04 جانفي 1884م، تقضي بإخلاء السودان تحت قيادة غوردون ولا بديل عنه، وفي الوقت نفسه أرغمت الوزراء المصريين لتنفيذ هذه الوصية أو الاستقالة من مناصبهم، وبموجب ذلك استقال شريف باشا في 07 جانفي1884م، بسبب امتناعه عن تطبيقها[3]، وعين عوضه نوبار باشا باغوص، ليقوم بوضع الوصية البريطانية موقع التنفيذ، دون اعتراض أو إبطاء في تنفيذها[4]

بعد تقرير إخلاء السودان بتشكيل وزارة نوبار في 10 جانفي 1884م، وإرسال غوردون إلى السودان ويفهم عن مهمته مايلي:

- أنها لوضع تقرير عن العامة في السودان، وعن الموقف العسكري هناك
- أن الحكومة البريطانية غير ملزمة بإتباع ما قد ينصح أو يشير به غوردون
- تنفيذ الإخلاء لا يدخل إطلاقا في مهمته، أي أن مهمته حسب غلادستون استشارية فقط[5]

(1) نعوم شقير، **جغرافية وتاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 726.
(2) نعوم شقير، **تاريخ السودان** ، ص 435.
(3) الرافعي، **عصر إسماعيل**، ج 01، المصدر السابق، ص 136.
(4) إبراهيم فوزي باشا المصدر السابق، ص 278.
(5) محمد فؤاد شكري، مصر و السودان، المصدر السابق، ص 315.

وفي اجتماع 18 جانفي 1884م، طلب وزير الخارجية من غوردون أن تكون مهمته إخلاء السودان بدل أن تكون مهمة تقريرية، وبناءا على طلب جرانفيل كانت مهمة غوردون هي إخلاء السودان، أي أنها كانت مهمة استشارية تنفيذية وليست استشارية تقريرية فقط [1].

غادر غوردون لندن متجها القاهرة في طريقه للخرطوم، ووصل إلى مصر في 25 جانفي 1884م، وفي اليوم التالي قابله الخديوي الذي أوصاه " أن الغرض من إرسالك إلى السودان هي إرجاع الجنود والموظفين والتجار إلى مصر، مع حفظ النظام في البلاد بإعادتها إلى سلالة الملوك الذين حكموها من قبل دخول المصريين، بقيادة محمد علي باشا ولنا مزيد الثقة أنكم تتخذون أفضل الطرق لإتمام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام "[2]

وصل غوردون إلى الخرطوم في18 فيفري 1884م، وعلى الفور بدأ ينشط لتأدية مهامه ـ موافاة الحكومة البريطانية عن أفضل الوسائل لتحقيق الانسحاب من السودان ـ من خلال جملة من الإصلاحات، فقد أمر بجمع دفاتر الضرائب في ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط وآلات الضرب، التي كانت تستعمل في جمع الضرائب وأضرم فيها النار، ثم زار السجون فأخلى سبيل الجميع ماعدا القتلة.

وفي صباح يوم 19 فيفري 1884م، تفقد المخازن وفتش دفاترها وأحصاها، ثم أخذ ينظر في تنظيم مدينة الخرطوم، فأنشأ مجلسا وطنيا وعين عوض كريم أبي سن شيخ القبائل الشكرية مديرا عليها، ثم وزع منشورا على أهل الخرطوم وضواحيها جاء فيه ((أن السودان قد فصل عن مصر فصلا تاما، وقد جئتكم حاكما مفوضا عليه فجعلت محمد أحمد سلطانا على كردفان، وألغيت الأوامر الصادرة في منع الرقيق، وأغضيت عن المتأخر من الضرائب لغاية 1883م، وعن سنتين في المستقبل، وسأجعل حكومة وطنية من أهل البلاد، حتى يحكم السودان نفسه بنفسه، وقد ندبت أبا سن ليكون مديرا على الخرطوم)) [3].

تميزت سياسته غوردون بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، على حسب الأوضاع السائدة في السودان، ومن جهة أخرى عرف كيف يستغل هذه الأوضاع لصالحه، فبدأ

(1) محمد فرائد شكري، المصدر السابق، ص 318 319.
(2) نعوم شقير ، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 435 436 .
(3) نفسه، ص 438 440.

بعملية التحضير لحصار الخرطوم، فأخذ يرسل المناشير لدعوة ملوك الحاميات للاستسلام أما غوردون، فقد صرح بأنه لم يعد في إمكانه أن يفعل أزيد مما فعل، وما فعل شيء لتقرير الراحة بين السكان، وإن العزم على إخلاء السودان الذي أذعه للسكان فتح للشيخ محمد أحمد السبيل لإثارة القبائل بين بربر والخرطوم، على حسب قول جمال الدين الأفغاني[1].

ج حصار الخرطوم:

بدأ المهدي الخطوات العملية لحصار الخرطوم بعد معركة شيكان مباشرة، فرأى حصارها في ثلاث مراحل: عزلها عن العالم الخارجي، ثم عزلها عن المناطق المحيطة بها، ثم حصارها مباشرة وخنقها حتى تستسلم ويستولي عليها[2].

وعلى الرغم من أنه وصل لعلم الحكومة الانجليزية في 25 مارس 1884م أن الخرطوم أصبحت محاصرة من كل جانب، وأن الخط التلغرافي بين الخرطوم والقاهرة قد قطع، إلا أنها لم تبدي اهتماما للحالة التي آلت إليها الخرطوم خاصة والقاهرة بصفة عامة حيث أرسلت " أفلين بارنج " القنصل الانجليزي في مصر لمحاولة الاتصال بغوردون وإخباره أن الحكومة تترك له الخيار، في البقاء حيث هو أو الانسحاب عن أي طريق يهتدي إليه كما قررت الحكومة أخيرا بإرسال الجنرال كيتشنر ليستقر كضابط مخابرات في مركز أمامي على النيل، لكي يستطيع تلقي أخبار غوردون وتوصيل الأخبار إليه[3].

وفي ذلك الوقت أخذ الثوار يجمعون قواتهم، تحت قيادة الشيخ العبيد وابناه إبراهيم والعباس، ومعهم الشيخ المضوي، ونزلوا على قبيلة الشايقية فهزموها، ولم يجد غوردون إلا أن يرسل إبراهيم قوزي في باخرتين مشحونتين بالعساكر، فوجد أن هذه الجيوش قد احتلت منطقة الحلفاية وتحصنت بها، فانهزمت قوة إبراهيم فوزي بسبب تواطؤ الضباط الرئيسين في تلك الحملة[4].

لقد كان لهذه الانتصارات في منطقة الحلفاية والشرق، إلى جانب انتصارات عثمان دقنة وصل جواب محمد أحمد المهدي في 22 مارس 1884م، على رسالة غوردون والتي

(1) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، ط01، مكتبة الشوق الدولية، القاهرة، مصر، 2002م، ص248.

(2) محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي**، المرجع السابق، ص 130.

(3) تشرشل، المصدر السابق، ص 68.

(4) هولت، المصدر السابق، ص 115.

سماه فيها سلطانا على كردفان، في هذا الجواب دعا محمد أحمد غوردون إلى الإسلام، إذا كان يريد بالمسلمين خيرا كما يزعم (...فإن كنت شفيقا على المسلمين فبالأولى أشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها، وقومها على إتباع دين الحق وإتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...) [1]، ولما ترجم لغوردون الكتاب استشاط غضبا وأمر بإحراق الرسالة وأمره أن يكتب له جوابه ((من غوردون باشا ولي السودان إلى محمد أحمد المتمهدي وصلني كتابك الركيك العبارة، العاري المعاني عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبث طويتك وعن قريب ستبلى بجيوش لا طاقة لك بها، وتكون أنت المسؤول أمام الله عما يسفك من الدماء...))[2]

أرسل المهدي مساعده محمد عثمان أبو قرجة ومعه المدافع والأسلحة النارية وقوة الجيش لتنظيم الحصار على الخرطوم، وفي نفس الوقت عين أستاذه السابق محمد الخير أميرا على بربر، وأرسله ليشرف على القتال في ذلك الإقليم في 12 ماي 1884م وأحضر محمد الخير قواته الرئيسية وبدأ بالحصار، وبعد سبعة أيام من الحصار نجح الثوار في الاستيلاء على بربر يوم 19 ماي 1884م، وغنموا حوالي 60 ألف جنيه يمثل معظمها الإعانة التي أرسلت لغوردون[3].

بلغ ذلك الانتصار إلى الرأي العام في انجلترا حيث ثارت ثائرة الشعب هناك، واثر ذلك قررت الوزارة البريطانية إرسال حملة إنقاذ بقيادة ولسلي لإنقاذ غوردون[4]، وكان عددها 09 آلاف مقاتل، وبعد وصلها القاهرة غادرتها فنزلت وادي الحلفايا في 05 أكتوبر 1884م، في الوقت نفسه كان ضابط آخر هربرت ستيوارت قد بدأ بالسير إلى دنقلة بقسم من الجنود، والذي انظم إلى ولسلي بدنقلة، ثم عاد إلى وادي الحلفايا لانجاز الترتيبات الأخيرة، وبعد أن تمت المراسلة بينه وبين غوردون في 04 نوفمبر 1884م، التي وصلت

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المهدي، المرجع السابق، ص 493.
(2) مكي شبيكة، تاريخ الشعوب، المصدر السابق، ص 678.
(3) يحي جلال، المصدر السابق، ص 160.
(4) سعيد الدال، الإمام المهدي، المرجع السابق، ص 134.

إلى ولسلي في 17 من نفس الشهر، وكان واضحا منها السرعة صارت ضرورية حتى يتمكن من انقاذ غوردون والعاصمة[1].

فأرسل ولسلي هربرت ستيوارت ومعه كتشنر بقسم من الجيش، صار يعرف باسم طابور الصحراء، والذي اشتبك بجيوش المهدي في أبي طليح، وكان ذلك في 16 جانفي 1885م وانتهت بهزيمة الدرويش (جيش المهدي) بعد أن حاصدتهم نيران المدفعية حصدا، وفي هذه الواقعة قتيل الضابط الانجليزي هربرت ستيوارت، فتسلم القيادة تشارلس ولسون والذي لم يزحف إلى الخرطوم، إلا قبل يومين من سقوطها[2].

د_ سقوط الخرطوم ونهاية غوردون:

لقد أخذت الأمور تطورا بسرعة، فقد عملت قوات المهدي على تطبيق الخناق على الخرطوم، فقد حصرت من الشرق والجزيرة، وتركت أم درمان للمهدي، الذي كان لاحقا بها في الوقت، الذي كان غوردون قد علم بأخبار حملة الإنقاذ هذه، وكان يترقب وصولها بفارغ الصبر ويمني الأهالي بذلك، وانتهى الأمر بسقوط أم درمان في يد قوات المهدي في 05 جانفي 1885م[3].

وكان لسقوط أم درمان أسوأ وقع في نفوس أهل الخرطوم، فإنهم أدركوا به حقيقة الضعف، الذي صاروا إليه وازداد ألم الجوع، فأخذوا يخرجون إلى المهدي مسلمين[4] وأصبح مركز الخرطوم حرجا للغاية، أما عن المهدي فبعد أن استطاع أن يحكم قبضته على أم درمان، أخذ يتطلع إلى الهجوم الحاسم على الخرطوم، وفي 25 جانفي 1885م عقد مجلسا لخلفائه وكبار أنصاره وأقاربه، للتشاور في شأن حصار الخرطوم، بين الانسحاب أو الاقتحام حيث أبدت الأغلبية في البداية الانسحاب إلى كردفان، إلا أن المهدي عارض بشدة هذا الرأي وقال:((...إذا كانت كل هذه المتاعب، قد تسبب فيها انجليزي واحد وهو غوردون، فكيف يكون الحال إذا انظم إلى غوردون جيش كامل من أهل البلاد...))[5].

(1) محمد فؤاد شكري، **مصر و السودان**، المصدر السابق، ص 345.
(2) تشرشل ، المصدر السابق، ص 68.
(3) محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي**، المرجع السابق، ص 134.
(4) نعوم شقير، **تاريخ السودان**، ص 523.
(5)هولت، المصدر السابق، ص 121.

وبناءا على ذلك قرر المجتمعون على ضرورة الهجوم الخاطف على الخرطوم، وان مشجعهم على اتخاذ هذا القرار الأخبار، التي وصلتهم من الفارين من المدينة عن انتشار المجاعة والأمراض[1].

وفي يوم الاثنين 26 جانفي 1885م، زحف حوالي 50 ألف من أنصار المهدي بقيادة عبد الرحمان النجومي على استحكامات الخرطوم، التي كان غوردون قد حفر حولها خندقا لحمياتها، فقاد النجومي الهجوم الأساسي من جهة الأبيض، حيث دفع بما يزيد عن 40 ألف مقاتل عبر فتحة ضيقة، بينما كان الجزء لا يزيد عن 20 ألف منتشرين في أميال بطول مواجهة دفاعات الخرطوم، وحين وصل هؤلاء وبدأوا في الالتحام مع القوات الأمامية خلف الخندق، وهاجموا سراي الحاكم (مقر الحكم)[2].

وقيل كان أول من اخترق خط النار ودخل الخرطوم، محمد نوباوي شيخ بني جرار الذي أخذ فصيلة من عربانه وقصد السراي طلبا غوردون، فقتلوه وقبل أن فاضت روحه مسكوه برجله وجروه على سلم السراي بقسوة، وقطعوا رأسه وحملوها إلى المهدي في أبي سعد الذي أنكر عليهم قتله وصاح فيهم قائلا " لماذا قتلتموه ألم أنهاكم عن قتله، فقال التعايشي أن قتله خير من أسره، فبدت على المهدي علامات الغضب، وأشرع بالقيام ودخول منزليه ونصب رأس غوردون على خشبة طولها مترين، وأخذ النساء والصبيان يرجمونها بالحجارة ويهينونها بالبصق حتى تهشمت قطعا صغيرة "[3].

وما كان لمعركة كبرى كمعركة الخرطوم أن تمر دون أن يصاحبها فوضى، ونهب وقتل عنيف خرج أحيانا عن الحد المقبول، واستمرت حالة الفوضى بضعة أيام، ولم تهدأ إلا بمجهود المهدي وقواده[4].

أما عن حملة الإنقاذ التي أرسلت من الحكومة الانجليزية، فقد لاقت مشاق عبور النيل فلم تصل مشارف الخرطوم إلا بعد يومين من سقوطها في 27 جانفي 1885م[5]، وعند سماع سماع قائد الحملة عن مقتل غوردون وسقوط الخرطوم، قام بإعلام الحكومة البريطانية بذلك

(1) إبراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، ج01، ص 419.
(2) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي، المرجع السابق، ص 135.
(3) نعوم شقير، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 534 535.
(4) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 136.
(5) محمد فؤاد شكري، مصر و السودان، المصدر السابق، ص 353.

وعاد أدراجه خائبا، وفي 21 أفريل 1885م أقر مجلس النواب رسميا على العدول عن فكرة استرجاع الخرطوم، وكان هذا الرأي ضد رأي ولسلي الذي أصدر أمره بالخروج من دنقلة في 11 ماي 1885م[1]، وبناء على ذلك قررت الحكومة البريطانية في 17 ماي 1885م بإبطال كل العمليات العسكرية في السودان، والانسحاب فورا من هذه البلاد و نهائيا[2] وعند ذلك أمر المهدي بالزحف على دنقلة واحتلالها، فدانت له في صيف 1885م[3].

وهكذا أخلى المصريون السودان كله بملحقاته في البحر الأحمر والصومال، تحت ضربات قوات المهدي، وبناءا على نصيحة الحكومة البريطانية لمصر، وتقاسمت الدول الأوربية هذه الأقاليم بعد أن عجز المهدين عن الحافظة عليها[4].

هـ- السودان تحت حكم المهدي:

لقد كان سقوط السودان بين يدي المهدي آنذاك إذانا بانتهاء العهد العثماني في السودان وانقاد السودان كله للمهدي من يومها، ولم يبق له منافس واثر المهدي المنتصر ألا يسكن مساكن، الذين ظلموا في الخرطوم، فسار بناقته من " أبي سعد" إلى " أم درمان" وحيث حطت رحالها بنى مسكنه ومسجده، متيمنا بذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وسمى أم درمان " بقعة البركة " وجعلها عاصمة الدولة المهدية.

ومضى المهدي في تأسيس دعائم دولته الوليدة، فأقام في المنطقة، التي استد إليها نفوذه نظاما إسلاميا، طبق تعاليم الإسلام في جميع نواحي الحياة، فعين قضاة من صفوة العلماء الأتقياء، ونوابا عنه في الأقاليم، ممن يثق بصلاحهم وعلمهم، وعهد إليهم مباشرة القضاء والأحكام، والفصل بين الناس، ونظم شؤون المالية، وعين جباة لجمع الزكاة، وقسم الغنائم كما تقتضي الشريعة الإسلامية، وجعل بيت المال موردا لرزق المسلمين، يعطي لكل واحد منهم بمقدار حاجته هو وعائلته، ولم يتقيد بمذهب خاص في أحكامه، ولكنه أدى الاجتهاد وطرح العمل بالمذاهب الأربعة وقال:((إن مذهبه الكتاب والسنة، والتوكل على الله))

(1) نعوم شقير، **جغرافية وتاريخ السودان**، المصدر السابق، ص 885.
(2) لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية**، ط03، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2007م، ص 27.
(3) مكي شبيكة، **عبر القرون**، المصدر السابق، ص 363.
(4) رأفت غنيمي الشيخ، **مصر والسودان في العلاقات الدولية**، عالم الكتب، القاهرة، مصر ، ص 219.

وكان قضاته يرجعون إلى ما كان عليه المسلمون في حياتهم الأولى، ثم أرسل إلى خديوي مصر يدعوه إلى تطبيق أحكام الإسلام، وعدم اتخاذ الكافرين أولياء، فهو أردا أن ينشأ حركة دينية تعيد الإسلام إلى وحدته وعزته[1]

3_ وفاة المهدي وتولي خليفته عبد الله التعايشي الحكم:

لم يعمر المهدي طويلا بعد فتح الخرطوم، فقد دخل في خلوة، وداهمه مرضي[2] يعرف عند السودان - باب دم - وعند الأطباء السحائي الشوكي، فوقع ضريح الفراش ويبدو أنه بدأ يحس المرضى منذ شعبان، فهو تحدث عن عدم قدرته عن القيام ببعض المهام، وفي يوم الخميس 21 جوان اشتدت به أعراض الحمى، فجيء إليه بأطباء مصريين وأقروا أن حالته خطيرة[3]، وفي يوم الجمعة التاسع رمضان 1302هـ الموافق لـ 22 جوان 1885م أواخر الساعة الرابعة قضى نحبه في " أم درمان " وعمره إحدى وأربعون سنة، ودفن في الغرفة التي توفي فيها[4]، فخرج الخليفة عبد الله ليعلن الخبر وهو يغالب الدمع والدمع يغلبه وارتفعت أصوات النواح هنا وهنالك خافتة حينا ومرتفعة حينا أخرى.

فالمهدي لم يستطع أن يقاوم المرض رغم بنائه الجسماني السوي وشبابه، فالجهد الذي بذله منذ خروجه من أبا والمعارك التي قادها، وعظم مسؤولية التي تحمل ثقلها وفيض الرسائل والكتابات التي خطها، كلها أنهكت قواه، فأصبح جسده فريسة سهلة للمرض وما أكثر الأمراض والأوبئة في السودان القرن التاسع عشر، ولم درمان نفسها بؤرة أمراض، وهكذا انطوت صفحة المهدي، وكان قد أوصى بالخلافة من بعده لعبد الله التعايشي[5].

بايع الناس الخليفة عبد الله التعايشي وهو في عمر الخامسة والثلاثين، وامتدت فترة حكمه 13 عاما (1885-1898م)، وقد تولى الخلافة في وقت عصيب كثرت فيه المشاكل الداخلية والخارجية وكان عليه أن ينظر في حل الأزمات قبل أن تتفاقم، وأولى تلك الأزمات مشكلة الولاء له، فقد عرف منذ اللحظة التي توفي فيها محمد أحمد أن الأشراف أقارب

(1) محمد بن إسماعيل المقدم، المهدي، المرجع السابق، ص 500.
(2) نفسه، ص 508.
(3) إبراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، ص 61.
(4) محمد بن إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص 508.
(5) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي، المرجع السابق، ص 136 137.

المهدي، وعلى قيادتهم الخليفة شريف غير راضين عن مبايعته، وأنه لولا الظروف الحربية التي أحاطت بالموقف لما قبلوا بيعته، لذلك كان الخليفة عبد الله التعايشي حريصا على الاحتفاظ بقوته، وإضعاف قدرة خصمه الحربية بأسرع ما يمكن[1].

فقد عرفت مرحلة ما بعد عام 1891م، تركيزا كبيرا في السلطة وحلت التصفيات الداخلية محل الصراع القوى القبلية[2]، وفي الفترة الممتد من 1885م -1893م، تمكن من تصفية الموقف الداخلي وتوحيد السودان تحت رايته، وبذلك قام بتوجيه أنظاره خارج السودان، وقد خاض العديد من المغامرات الحربية منها:

حروبه مع الأحباش بسبب الأقاليم التي على حدود الدولتين القضارف و القلابات والتي انتهت بانهزام قوات الحبشة في واقعة القلابات 1889م[3]، بالإضافة إلى حروبه مع مصر، فقد سير حملة قوامها 12000 مقاتل، وأوكل إمرتها إلى النجومي في الصيف 1889م، وفي 02 أوت 1889م، كان الجيش المصري معسكرا في قرية توشكي الواقعة على الشاطئ الغربي في منتصف المسافة بين وادي وكورسكو، تحت قيادة جرانفيل واشترك في هذه المعركة فرقة الفرسان المصرية بقيادة كتشنر، وانتهت بمقتل ما يقرب 1200 من رجال النجومي، ووقع الباقين أسرى وأما النجومي فقد ظل يقاوم لأخر رمق وقد وجد المصرين جثمانه بعد المعركة[4]، وكذلك لا ننسى حروبه مع الإيطاليين، فقد احتل الإيطاليين ميناء مصوغ شرق السودان وأخذوا يمدون نفوذهم جنوبا وغربا، مما أدى لاصطدامهم مع قوات الخليفة[5]، إن هذه الحروب المتتالية أنهكت من قوى التعايشي وشغلته عن الالتفاف لشؤون الداخلية، وشجعت إنجلترا على أخذ القرار لاسترداد السودان.

---

(1) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 169.

(2) محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة الفكرية في المهدية**، ط01، قسم التأليف والنشر في جامعة الخرطوم، دار الطباعة الخرطوم، السودان، 1970م، ص 37.

(3) رأفت غنيمي الشيخ، المصدر السابق، ص 329.

(4) عبد العزيز الصاوي ومحمد على جادين، **الثورة المهدية مشروع رؤية جديدة**، الطبعة الأولى، دار الفارابي الخرطوم، السودان، 1987م، ص 131.

(5) إبراهيم محمد زين، الإمام عبد الرحمان المهدي دراسة حول المهدية، مجلة التجديد، العدد 06، الجامعة الإسلامية ماليزيا، 1999م، ص 209.

الخاتمة

الملاحق

الملحق رقم 01

صورة محمد أحمد المهدي [1]

(1) Damoulin Samone, **Soudan**, Edition du Seuil, Paris, France, 1979, p 65.

الملحق رقم 02

خريطة تبن الحدود الجغرافية للسودان وموقعه من القارة الإفريقية [1]

(1) شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2003م، ص 62.

السيرة الذاتية

المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- إبراهيم باشا فوزي، **السودان بين يدي غوردون و كتشنر**، ج01، طبع على نفقة مؤلفه ، إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم، السودان، 1319هـ، 1882م.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان 1424هـ، 2004م.

3- أبو سليم محمد إبراهيم، **الحركة الفكرية في المهدية**، الطبعة الأولى، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم، دار الطباعة الخرطوم، السودان، 1970م.

4- أبو سليم محمد إبراهيم، **بحوث في تاريخ السودان (الأراضي العلماء الخلافة بربر علي الميرغني)**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ 1992م .

5- أبو سليم محمد إبراهيم، **منشورات المهدية**، ط 02، دار الجيل، بيروت، لبنان 1979م.

6- الأفغاني جمال الدين وعبده محمد، **العروة الوثقى**، تقديم سيد هادي خسرو شاهي مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2002م.

7- الأنصاري ناصر، **مجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية**، ط01، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1993م.

8- تشرشل ونستون، **تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان**، ترجمة عز الدين محمود، مراجعة يوسف حسن، الطبعة الأولى، دار الشروق، مدينة نصر مصر، 1427هـ، 2006م.

9- التونسي محمد بن عمر، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تحقيق ظليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة مصر، 1965.

10- جلال يحي، **الثورة المهدية و أصول السياسة البريطانية في السودان**، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959.

11- الحسن موسى المبارك ، **تاريخ دارفور 1882م 1898م**، قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، د ت .

12- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، 1397هـ 1977م

13- رأفت غنيمي الشيخ، **مصر والسودان في العلاقات الدولية**، عالم الكتب، القاهرة مصر، د.ت.

14- الرافعي عبد الرحمان ، **الزعيم الثائر أحمد عرابي** ، الطبعة الثالثة ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، مصر 1968م.

15- الرافعي عبد الرحمان، **عصر إسماعيل باشا**، ج01، ط04، دار المعارف، مصر 1987م.

16- الرافعي عبد الرحمان، **عصر إسماعيل باشا**، ج02، ط04، دار المعارف، مصر 1987م.

17- الرافعي عبد الرحمان، **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال – تاريخ مصر القومي من سنة 1882م إلى 1892م –**، الطبعة الثالثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م.

18- سلاطين باشا، **السيف والنار في السودان**، دار عالم الكتب، أم درمان، السودان 1930.

19- شبيكة مكي، **السودان عبر قرون**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، لبنان 1964م .

20- شبيكة مكي، **تاريخ الشعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر ميلادي**، دار الثقافة لنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د وت.

21- شبيكة مكي، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر 1996م.

22- شبيكة مكي، **مقاومة السودان للغزو والتسلط**، معهد البحوث والدراسات العربية مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1972م.

23- شحاتة حسن إبراهيم، **مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة أحمد العوام – دراسة مقارنة في الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية واتجاهات الفكر الثوري في عهدهما** - ، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية مصر ، 1971م .

24- شقير نعوم، **تاريخ السودان**، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت 1981م.

25- شقير نعوم، **جغرافية وتاريخ السودان**، الطبعة الأولى دار الثقافة، بيروت، لبنان 1967م.

26- الصاوي عبد العزيز و علي جادين محمد، **الثورة المهدية مشروع رؤية جديدة**، الطبعة الأولى، دار الفارابي الخرطوم، السودان، 1987م.

27- علي إبراهيم عبد الله، **الصراع بين المهدي والعلماء**، دار نوبار للطباعة الخرطوم، السودان، 1999م .

28- عمر البشير محمد، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900 - 1969**، كلية الآداب بجامعة الخرطوم، الدار السودانية للكتاب، الخرطوم، السودان، 1980م.

29- فؤاد شكري محمد، **مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ميلادي 1820م 1899م**، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة مصر، 1963م.

30- فريد محمد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م.

31- فضل الله علي فضل الله، **العبور بالعودة للجذور– دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية** -، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1990م.

32- الفلاتي الطيب عبد الرحمان محمد، **الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان**، ط01، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م.

33- كيري واني عبد الرحمان، **الإسلام في جنوب السودان وأثاره في الماضي والحاضر والمستقبل**، ترجمة محجوب الدقل جبلي، مطبعة الخرطوم، السودان 2008م.

56- المقدم محمد بن إسماعيل، **المهدي**، ط08، الدار العالمية للنشر، الإسكندرية مصر، 2004م.

ج – المراجع بالأجنبية :

57- Baddour Abed el Fattah Ibrahim El-Sayed, **Sudanese Egyptian relations** The Hague Martinus Nighoff, Netherlands, 1960.

58- Damoulin Samone, **Soudan**, Edition du Seuil, Paris, France, 1979

59- Darmesteter James, **Le mahdi Depuis Les origines jusqu a nos jours**, Elibron, cLassics, paris, France, 2005.

60- Meeks Dimitri, etc. **Eegypte, Le Nile Egyptien et Soudanais de Delta Akhartoum**, Librairie Hachette, paris, 1971.

61- Wingate, **Mahdism and the Egyptian Soudan**, Being an account of the rise and progress of Mahdism and subsequent events in the Soudan London, 1891

62- Wingate, **Mahdism and the Egyptian Soudan**, London, 1968.

د-المجلات:

1-باللغة العربية:

63- يونان رزق، " **قيام وسقوط المهدية في السودان المعاصر** " مجلة سياسة الدولية العدد 21، مؤسسة الأهرام، مصر، 1970م.

64- محمد إبراهيم زين،" **الإمام عبد الرحمان المهدي دراسة حول المهدية** "، مجلة التجديد، العدد 06، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 1999م.

إهداء .....
شكر وعرفان .....
مقدمة 09-05
المدخل: لمحة عن السودان قبل ثورة محمد أحمد المهدي.
1-التعريف بالسودان. 13-11
-السودان المصطلح.....11
-السودان جغرافيا.....12
-السكان.....13-12
2- الأوضاع العامة في السودان قبل ثورة محمد أحمد المهدي.....18-13
- الأوضاع السياسية والاقتصادية. 16-15
- الأوضاع الدينية.....18-16
الفصل الأول: محمد أحمد المهدي
1-العقيدة المهدية.....24-20
-العقيدة في منظور الشريعة الإسلامية.....22-20
-العقيدة المهدية في منظور المجتمع السوداني.....24-22
2-شخصية محمد أحمد المهدي.....32-24
- نشأته وحياته.....28-24
تبوخه في التصوف.....32-28
3-دعوته.....36-32
-الدعوة سرا في مارس 1881م.....34-32
-الدعوة جهرا 29 جوان 1881م.....36-34
الفصل الثاني: أسباب اندلاع الثورة المهدي والعوامل المساعدة في نجاحه
1-أسباب الثورة المهدية:.....50-38

-الأسباب الدينية.....39-38
-الأسباب السياسية.....43-39
-الأسباب الاقتصادية.....47-43
-الأسباب الاجتماعية.....50-47
2-العوامل التي ساعدت في نجاح الثورة المهدية.....52-50
الفصل الثالث: مراحل وتطورات الثورة المهدية في السودان.
1- مرحلة الدفاع والتمكين 1881 - 1883م.....64-54
معركة أبا أوت 1881م.....56-55
وقائع الثورة في جبل قدير.....60-57
وقائع الثورة في جزيرة سنار.....62-61
وقائع الثورة في كردفان.....64-62
2- مرحلة الهجوم وبداية الحكم المحلي(نهاية الحكم المصري 1883
-1885م).....75-64
-حملة هكس وواقعة شيكان.....68-65
-مهمة غوردون وسياسة إخلاء السودان.....70-68
-حصار الخرطوم.....72-70
-سقوط الخرطوم ونهاية غوردون.....74-72
-السودان تحت حكم المهدي.....75-74
3.وفاة المهدي وتولي خليفته عبد الله التعايشي.....76-75
- الخاتمة.....79-78
- الملاحق.....82-81
- المصادر والمراجع.....90-84
- الفهرس.....93-92